

بغداد . .
المتنبي . . والناس

دار الملاك للفنون و الآداب و النشر
بغداد - حي المغرب / محلة ٣٠٢ ، زقاق ٨ ، عمارة سهام
هاتف: ٤٢٥٨٣٥١ موبايل: ٠٧٩٠١١٩٦٧٩٨
E-mail: kahtanmallak@yahoo.com

الإعداد الطباعي و تصميم الغلاف : ظافر
موبايل ٠٧٧٠٢٩٣٠٣٠٧ - ٠٧٩٠٥٦٣٦٦٨٥
E-mail: dhafirphoto@yahoo.com

استهلال

كان من المفروض أن يخرج هذا الكتاب قبل أكثر من ست سنوات و يمر في دواوين وأرقة الرقابة لفترة من الوقت. كان من المفروض أن يخرج متحدياً الظروف والأوضاع التي نعيشها ، لأن جهدنا الفردي كان يعني تحدياً لكل الظروف الرقابية المفروضة علينا . . كنا، نحن هنا في الداخل ، نكافح من أجل أن يبقى صوتنا مسموعاً ، وكلمتنا مقروءة . . . كنا نجد سعادة عندما يخرج إلى النور كتاب جديد بتمويل ذاتي و جهد ذاتي . . . كانت السعادة أكبر عندما نستنسخ كتاباً بعيداً عن أنظار الرقابة و نتداوله بيننا و نوصله إلى أصحابنا و كان هناك بعض الضحايا نتيجة هذا العمل . . . كانت تغمرني سعادة فائقة و أنا أحمل كتابي في يدي ، و أراه في المكتبات أو تكتب عنه بعض الصفحات الأدبية من قبل بعض الأشخاص الذين يعرفوننا و يتعقبون نشاطاتنا . . . كان خروج كتاب يمثل هذا الجهد والعناء والتضحية الذي يعني كثير لكل واحد منا ، لأننا كنا نخترق الحواجز ، و نتجاوز الحدود . . . وكنا نثبت وجودنا ، بأننا هنا و برغم كل الظروف التي تمر علينا ، نعيش و تضغط علينا، بإمكاننا أن نتجاوزها و تخرج كلمتنا حرة و صادقة ، و هذا هو التحدي الحقيقي الذي كان يواجهنا ونسعى بكل ثقة و إرادة لتجاوزه . . نعم !! كنا في مواجهة حقيقية و واقعية للظرف الصعب و للرقابة الأمنية التي يفرضها النظام والجهاز الأمني علينا ، و بالأخص هنا في شارع المتنبى . . و عندما كان يقترب مسئولو الأمن من الشارع ، فإن الإشارات كانت تنطلق من واحد إلى آخر لكي يخفي ما لديه من كتب قد تكون في نظرهم ممنوعة . . . لذلك امتلكننا حريتنا و إرادتنا الحرة و قوتنا في مواجهة تلك السنين ، والوقوف بثبات في شارع المتنبى بقوة حتى أصبحت بحق ظاهرة المتنبى تستقطب الأنظار و يأتيه المراسلون من كافة أنحاء العالم ، وعندما يجدون تلك الحركة في يوم الجمعة و الشارع مزدحم بالناس،

فإنهم يتساءلون : أحقاً بغداد ترزخ تحت الحصار و فيها هذه الحركة الدؤوبة الفكرية . . . حياة فكرية تبقى ؟؟؟ و بعض الأمل موجود بنظرة مستقبلية إلى الحياة . .

لم يكن يعرف أصحاب البسطات في بجموحة العيش التي يعيشها أخوانهم في الخارج، إنهم يجلسون تحت شمس حارقة و في صيف لاهب ، و برد شتوي قارس ، لكنهم سعداء، لأنهم يعيشون و لهم دور في الحياة لهذا البلد . . فلا عجب أنهم بقوا صامدين في هذه الأرض الطيبة التي جمعتهم و ربّتهم و أدبتهم.. و لم يتخلوا للحظة واحدة عن وجودهم هذا و علاقتهم الوطيدة بهذا الوطن... اعتقل البعض منهم، و دخل البعض الآخر السجن، و اعتدي على آخرين، لكن لم يؤثر ذلك فيهم.. بل بقوا متكاتفين و متآزرين في هذا الشارع، لان هذا الشارع كان يعني الحياة و الاصاله لهذا البلد... لم تكن هناك قوة تحميهم و لا حتى مكان يمكن ان يكون امن فيأوبهم... الا هذا المكان :شارع المتنبي... لذلك بقوا يجاهدون وهم يعرفون أنهم في كل لحظة مهددون... لم يكن يمتلكون مصاييف و لا منتجات للراحة و العطلة فحتى يوم العطلة الجمعة يعملون و لكن بسعادة مضاعفة لأنه كانت هناك حياة خاصة ممتعة في هذا اليوم... كان الكل ينتظر هذا اليوم الجمعة فهو يوم احتفالي يأتي له رجال الفكر و الناس تستمتع بالحياة في شارع المتنبي لأنه كان يعني الملتقى... و كان يعني النقاش في مقهى الشاهبندر و في احد المكتبات أو على الرصيف... و جوه كثيرة لا تراها الا في يوم الجمعة..... رجال فكر عام و علماء و قراء و هواة كتب يجتمعون في صبيحة الجمعة ليكون هذا الصباح شاهدا و مشهد لحياة بغداد الحقيقية... حياة لم و لن يدركها القادمون الجدد و بعد ان غادروا البلاد لعقود من الحياة فأن مثل هذه الحياة في المتنبي لا تعني شيئاً بالنسبة لهم... و لهذا تحاول جهات عديدة القضاء عليها... والقضاء على يوم الجمعة يوم الفرحة و البهجة و العمل لهذه الجمهرة من الناس التي احبت المتنبي و احبت الكتاب والكلمة المسموعة و المكتوبة عبر كل تلك العقود من الحياة... و توالى الكوارث على الشارع و على المدينة و على البلاد ، و أطبق الاحتلال أنيابه على هذه الأرض و أصبح الشعب يرزخ تحت هذا البغض الغربي الأميركي و قصفت بغداد بوحشية كما لم تقصف مدينة

أخرى في هذا العصر الجديد ... و كان ان اطلق صاروخين امريكيين على الشارع في أول أيام الاحتلال اديا إلى هدم بعض البنايات و وفاة البعض من العاملين ولكن كانت الفاجعة الكبرى يوم الاثنين الاسود، اذ اتى ذلك التفجير على قلب المتنبي و اخذ نخبة خيرة من الرجال ممن كافحوا طوال سنين عمرهم من اجل الكتاب و من اجل بقاء مكتبات جميلة مزدانة بأجمل الكتب على رفوفها.

نعم.. كارثة المتنبي هي واحدة من اكبر الكوارث التي تصدم البلد في كل يوم، لأن ما كان موجودا هناك هو ارث متوارث عبر السنين و جهد رجال كافحوا منذ نعومة اظافرهم من اجل الكتاب و من اجل بقاءه متوصلا مع الحب و لأن الكتاب هو سجل لحياة البلد و اي بلد و العراق هو موطن الكتاب و اهل العراق هم اهله واصحاب الفكر الذين حافظوا على الثقافة العربية عبر هذه القرون المظلمة من السنين.

و لإنهم كانوا اللبنة للثقافة العربية إذ خرجت من هنا مختلف المدارس الفكرية دينية و فلسفية و تاريخية، اهل العراق اهل الكلام، هنا جمع الحديث، هنا كتبت فلسفة عربية اسلامية صرفة هنا كتبت علوم عربية كانت تواصل لعلوم شعوب اخرى و ركيزة لعلوم مستقبلية في الطب و الفلك و الاجتماع و من اجل كل هذا استهدفت بغداد و استهدفت مراكز ثقافتها.. يعتقد هؤلاء المحتلون انهم بفعلتهم هذه سيقضون على فكر و حضارة و وجود... و لا يعلمون بأن الفكر موجود في الانسان العراقي نفسه .. في عقله المختزن لثقافات و فكر اباءه و اجداده و لأن هذا الفكر لا يمكن له ان يمحي من عقل الانسان الا بالقضاء عليه فهل ستمكنون من القضاء على ثلاثين أو عشرين مليون عراقي ، لقد تناقص سكان العراق في عهد الدولة العثمانية إلى اقل من اربعة ملايين نسمة و بعد ان كان في زمن الدولة العباسية يزيد عن الخمسين مليون.. بحيث كان يضرب المثل بأنك تسمع صياح الديك في الصباح في بغداد حتى البصرة و هو الدلالة على العمران و اتصال المدن و الكثافة السكانية، واليوم و بعد كل هذه الكوارث فإن اهل العراق مايزالون احياء و مازالوا يمضون في حياتهم... و مايزالون يعملون و يقاومون و ان ذهبت كتب فستأتي كتب

مكانها وستفتح مكاتب جديدة لأن هناك ابناء يتواصلون مع آبائهم في عملهم وجهدهم الكتابي... و من اجل ان يبقى نبض الحياة حيا في هذه المدينة العريضة.. وفي شارع المتنبي.. وفي وطننا العزيز.. العراق.

ان صدرت هذه الوريقات ، فأنها تصدر عرفانا لهؤلاء الرجال المجهولين الذين يحملون امانة المحافظة على الكتاب في اعناقهم ، و الذين شاركوني الجهد و المعرفة و اتحفوني بما لديهم من نفائس الفكر، و منحوني اجمل زينتها...

فإليهم كل التقدير ، و إلى كل من اسهم و شارك في ظهور هذه الوريقات البسيطة كل الشكر... والتحيات الخالصة للوفاء و الحب الذي يكونه للكتاب ، للمتنبى و لشارع المتنبي... و رحم الله شهداء المتنبي و كل شهداء العراق ، وسيبقى العراق بعزم أبنائه قويا و ثابتاً و موحداً بوجه هذه الحملة الوحشية الأميركية الغربية التي تشن عليه.

فحطان الملاك

٢٠٠٨

أنا في حبك عالقا... يا متنبي

أنا لي هوى عربي،

أحب بلدي

و كل وجه عراقي نقي

أنا من هوى الوردي ، العزاوي

و الرصافي

أنا من هوى الكوكب الدري

الجواد علي، علي الشرقي

أنا من هوى الحبوبي... الثعالبي و ابن جني

و المتنبي

أنا الفقير القارئ الكتبي،

المتعبد البسيط ربي...

المسلم العربي،

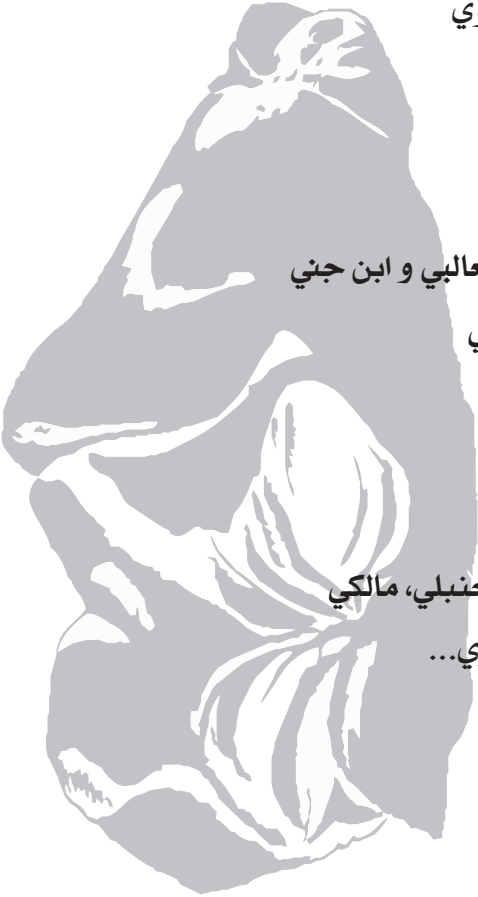
مذهبي : شافعي، حنفي، حنبلي، مالكي

و جعفري...

أقرأ قرآني

في الفجر...

أنا من هوى السمك النهري



و الشط العربي.....

أنا من هوى ابن سينا ، بن رشد

و الغزالي

أنا من هوى القرنة

و علي الغربي...

أحب النواس

و أغاني الأصبهاني

في الطريق يشدو لي

لحن ابن زريق

و ابن رشيق القيرواني....

صوت حبابه و سلامة القس...

أنا وله في بغداد

و شارع المتنبي

اروقة خلقها الرجب قاسم، الخاقاني، الأعظمي، أفلجلي، و حلمي

اعمدة تتأكل مع الزمن الوحشي ...

و كتب يطحنها و يحرقها...

كل امي... عدو لكل فكر تقدمي...

أنا من هوى ذاك الزمن الذهبي

و القرن الرابع الهجري،

أخوان الصفا ، الطبري،

جعفر الصادق المهدي

أنا من هوى الاشعري

و ابي القاسم البيروني

فلك قادم من بخارى
و سمرقند
انا من هوى الشام
و ابي العلاء المعري
و غوطة دمشق و الأيوبي
و دار يقظة العرب
أنا في سفح في لبنان
عالية، بجمدون، بيروت، شتورا
طرابلسي...
انا ابن البصرة الأبى
أعرف نسبي
حيث ولدت... فأنا
عراقي عربي
أنا من شدا و غنى
في هوى
بلدي...
وآه... أه...
يا بلدي... !! و يا بلدي... !!!
أنا في هوى مصر العزيرة
و قاهرة المعتز
الظاهري
في صنعاء... يمانى
أنا من هوى البصرة

و حسن البصري...
 انا بين السفوح
 و في الجزائر...
 بربري
 في تونس... خضراوي
 ابيض نقي،
 في القدس، بيت لحم نابلسي
 فلسطيني
 و على شواطئ دجلة و الفرات
 عراقي
 أنا ابن العراق
 ابن الملاك الحلفي
 أهوى السليمانية، أربيل، شقلاوة
 و كل دم كردي نقي...
 أبحث عن تاريخ بلدي
 و آه يا بلدي...
 آه يا بلدي...!
 أبحث عن ثورة العشرين
 عن كاشف الغطاء، ابو الطيب، عبد الواحد، السيد الياسري
 و كل ابن عشيرة تائر
 حمل السلاح خلف
 السيد الحبوبي
 أبحث عن ثورة الاربعين

و شهدائها الابطال العامرين
 صلاح الدين، الشبيب، السباعوي، محمود سلمان، فهمي سعيد
 و عن كل نائر وطني
 أبحث عن وثبة كانون
 شهداء الجسر، جعفر، قيس، شمران و رشيد الأعظمي...
 أبحث عن كل انسان وطني
 كل شهيد سقط في ساحة الحرب
 من أجل الوطن الغالي...
 كل جندي مجهول
 هو رائدي... و هو مطلبي
 أنا من هوى الكميت
 و السيد الحميري
 و في شارع المتنبي
 أتوكأ على كتبي
 أغوص فيها... و في كل عرف غني...
 أنا بين جدران المتنبي
 أبحث عن الهدى...
 و عن كتبي...
 و آخ يا كتبي...!
 آخ يا كتبي...!!!
 أبحث عن البهاء الأزهري،
 أبحث عن ابن النديم
 عن مصطفى الجواد و الكرمل...

عن جعفر و الرضا الشيبيني

عن الواسطي...

و في كل لوحة، أبحث عن

الجواد سليم، الانسان المبدع الفني

كاظم حيدر

و الحسن فائق الأولي...

الشريف محيي، حافظ الدروبي

و عطا صبري

أبحث عن حبزبوز

و الكرخي

في اروقة المتنبي

أبحث عن ضالتي

عن الجواهري

و ابن مردان العربدي عبد الملك نوري

و عن الازدي

و ابن حمود البصري.....

في المتنبي : يتباطأ الناس في السير

حيث يهجم كل متطفل دنئ.....

ينقض على كل مسكين

كتبي.....

يا قابعا في اروقة المتنبي :

ابق معي

لا تستسلم

و استعص....

انك قبلة كل انسان شريف أبي....

أنت في بغداد الرشيد

انسان أبي.....

أنت في الحر و البرد

تقاوم شرور الدهر الدني

و في شارع المتنبي

أتوكأ على مكتبي

أغوص فيها... و في كل عرف غني...

أنا بين جدران المتنبي

أبحث عن الهدى...

و عن كتبي...

و آخ يا كتبي....!

آخ يا كتبي....!!!

أبحث عن البهاء الازهري،

أبحث عن ابن النديم

عن مصطفى الجواد و الكرملی...

عن جعفر و الرضا الشيبی

أنا في حبك... و الله... يا متنبی

استغني

و أنا في هواك

عالق مرتجی..

ابق منتصبا يا متنبي
أبق شامخا أبد الدهر
و أبق معي
في عقلي و في روحي و بين كتبي
و أبق ثابتا يا رجل في
الشارع المتنبي

قحطان الملاك
بغداد ١٩٩٧

المتنبي

حكاية ناس... و حكاية زمن...

مالئ الدنيا... و شاغل ناس...

من منا لم يقرأه...؟ من منا، لم يعجب به...؟ و من منا لم يبق، الا و يتتبع اثره...؟
 وأثره في ذلك الزمان، هذا الزمان، و في كل زمان، و مكان حل به...! انه الشاعر، و هو في
 اسطري القليلة هذه، الشارع...!! نعم! شارع المتنبي... وكأنه كان يجب ان يكون هنا، في
 بغداد، لا غيرها... شارعاً للكتب، للكتبة، و للباحثين عن الكتاب... هنا حيث يمكن ان يراه
 المرء، و يتتبع اثره في حله و ترحاله... هنا حيث شارع الوراقين و المكتبيين، و كل من
 يبحث بين صفحات الكتب والأوراق... المتنبي : الشارع... بغداد فتحت صدرها للشاعر،
 واليوم تفتح صدرها للشارع... نتتبع الاثر في ذلك الطريق، علنا نجد اثره له، أو نجده في
 مكان ما، جالسا، ملتحفا بعباءته، في زاوية، قابعاً... أو متكئاً على عمود من أعمده الشارع،
 ينظر، يبحث عن سره في الماضي... و عن الحاضر...!! ماذا يعني الحاضر بالنسبة له...؟
 وأي حاضر هذا الذي ينظر اليه، و يرى بأن حياة الكتب، و حياته، في هذا الشارع، يمكن، ان
 تختفي... و يختفي منها الكتاب...!! أيمن ان يحدث هذا يا رجل...؟ أيمن ان تختفي من
 الحياة... و إلى الابد...؟! بعد ان عشنا معك هذه القرون العديدة، شاغلنا، و شاغل الناس...؟
 و أين يختفي...؟ أيمن ان تخفيك، بغداد...؟ بغداد العريضة، التي اعزتك، تخفيك...؟!
 حتى نصبك احثاروا به، اين يضعونه...؟! لا احد يدري...! و لا حتى النحات نفسه،
 يدري... و لا الشاعر نفسه يعرف أين سينتهي به المطاف في نهاية الطريق...! و كأنهم
 قد ملوا منه، و أخذوا يزيحونه من مكان إلى آخر حتى ينتهي في (سلة سكراب) أو بين
 انقاض الامانة، التي يجب ان تكون امينة عليه...! فتركته مثقوباً من الخلف، و كأن الامر

لا يعينها في المحافظة عليه ، و على هيكله، و نظافته، و تركت المتنبى مطعوناً في الخلف...!!
يا لفضاعة الزمن... الذي يتركك، يا متنبى، مطعوناً في الخلف نعم! ان المتنبى، قد طعن في
الخلف... طعن في الخلف ايها السادة*....

نعود إلى الشارع : لقد عرفته منذ اول ايام قدومي المدينة، بغداد، قبل اكثر من خمسين
عاماً، في اوائل الخمسينات، عندما كنت طالباً في المدرسة الغربية المتوسطة، و كانت تلك
المدرسة تزدهر في ايام عزها ، بمديرها ، العلاء... رحمه الله وأسأتذتها المخضرمين الذين
ربوا اجيالاً و اجيالاً من العلماء الذين يخدمون في كل ارجاء البلاد... تعلقت به، الشارع،
وبعد ان عرفته، كان كل شيء فيه يجذب، ويبقى المرء يتجول بين رفوف المكتبات العامة
فيه...، لقد كانت تجمعه صلة وثيقة بسوق السراي ، حيث هناك (المكتبية) و هناك يجد
المرء أكثر من ضالة فكرية يتذوقها ... تجولت منذ الايام الاولى في اروقة مكتبة المثني ،
العصرية، و البيان... وعرفتهم الرجال الاولين الذين يجلسون خلف طاولاتهم ، و يجلس
من حولهم رواد الادب و الكتاب العراقي ... كنا ننظر اليهم بتقدير و اعجاب ، و نخجل من
انفسنا عند الاقتراب من هؤلاء

جملة مما يقولون عل ذلك يكون لنا عوناً في بحثنا ... رأيت هناك الرجب (قاسم) رحمه
الله ، رأيت الحلبي و الخاقاني و الحاج الأعظمي نعمان... رحمهم الله جميعاً، و كثيراً غيرهم
ممن بنوا الاسس واللبات الفكرية للنهضة العراقية في العشرينات و الثلاثينات والاربعينات
او بعدها ... جهابذة ، كان لهم الفضل ، في تكويننا الفكري و في تتبع اثرهم واقتفاء البعض ،
من بداياتهم... اسما كان لها اكبر الاثر ، في الفكر و العمل، كانوا اناس احبوا الكتاب و الكلمة
و البحث ، و احبوا بلدهم... و من لا يجب، فلا يستطيع ان يبدع...! كانوا رواداً لصنع الكلمة
و نشرها و أجهدوا انفسهم ، في حبهم وولهم بالكتاب في طول طريق الحياة ... و الحياة
الفكرية التي عاشوها و أغنوها ...

*وفي صباح أسود من أيام الاحتلال وضعوا قنبلة في رأس المتنبى و فجره و كأننا أرادوا ان يغتالوه في
مكانه و سقط تمثال المتنبى، و لكن لم يسقط شعره. و حملته سيارة أنقاض أمانة بغداد و نقلته إلى
ساحة من ساحات أنقاضها ليواري الثرى هناك.

كما لم يغنها احد من قبل ... رواد الكلمة المطبوعة... عملوا و جاهدوا في زمن صعب ، في زمن لم تنهض به الطباعة ، كما نهضت الآن... في زمن كانوا يعملون فيه داخل السرايب و الغرف المظلمة، و في عتمة الدار و طريقها... لكن طريقهم كان مضاء ، بالكلمة و الحب... كان طريقا للاجتهد و التفتح ... و كان طريقا لبلد كان في اول الطريق... و التف من حولهم كل قاص و دان... عملوا في بغداد ، القاهرة، طهران، دمشق و بيروت... و عملوا في كل مكان من اجل الكتاب العراقي... و كان الكتاب العراقي يطبع، بقدرتهم و جهدهم ، في كل تلك المدن، وبأستثناءات خاصة... و كان صاحب الكلمة في الهوى معهم... اصطحبوا معهم الرصافي، الزهاوي، الكرمل، الخليلي، العزاوي، مصطفى جواد، جعفر خياط، يوسف غنيمة و عشرات الاسماء العراقية ، التي يمكن ان أعدها إلى كل تلك المدن، و كانوا جلهم جهابذة العلم و الفكر من الرواد ... أناس ممن صحبوا البحث، التنقيب، و صحبوا الزمن معهم... من يدري، بان العزاوي، عباس رحمه الله، كان اذا سمع عن رواية أو اذا اراد أن يتأكد من حادثة ، و علم بان صاحبها في اقصى الشمال ، يركب بغلته و يذهب إلى اقصى الدنيا، للبحث و المعرفة للتأكد من الخبر...!! و من يدري بأن العلامة الدكتور جواد علي (رحمه الله) (صاحب الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) هو واحد من القلائل من المتضلعين باللغة المندثرة لجنوب الجزيرة العربية...؟ و من يعرف بأن الدكتور عبد الجبار عبد الله ، رئيس جامعة بغداد قبل أربعين عاما، هو واحد من علماء الفلك في العالم...؟! من يعلم... و من يعلم... و من يعلم... عن العالم اللغوي الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور مصطفى جواد ، الذي كان يستمع له كل صغير و كبير حتى امهاتنا، و هو يلقي كلماته و احاديثه من على شاشة التلفزيون و يسحر الجميع بصوته العذب...!

لقد اخذ الزمن يطوي ذكراهم ، مثلما يمكن ان يطوي الزمن ذكرى المتنبي و شارع المتنبي...! و احسرتاه...! ما الذي سيبقى منك ايها الشارع الحزين...؟ من الذي سيقف على جانبيك و يطريك...؟ من الذي سيرثيك؟ حتى الرثاء، لن تجد من يقوله بحقك ، أو يحسب له حسابا في زمن الدولار هذا؟! و آه من هذا الزمن...!!

صحبتهم منذ سنين و أنا اتتبع الاثر في زوايا و خفايا هذا الطريق... واحدا واحدا عرفتهم ... مكانهم ، طريقهم ... حيث يجلس كل واحد منهم يفترش الطريق ... يحاول ان يجد له مكانا بين العربات المركونة على جانبي الطريق ... يحاول ان يثبت، و يبقي الكتاب موجودا في هذا الشارع ... يتزاحم مع من اخذ يتطفل بالدولار على حرمة الفكر و يحاول ان يدفعه و يزيحه عن مكانه...! و يزيح الزمن الذي عاشه الكتاب بين احضان المتنبي ... أتزيحون المتنبي ، في نهاية المطاف ...؟

اتزيحون من يقف خلف وجوده الدائم في كل زمان و مكان ، بصفعة على الطريق ،

و بشهادة الزمن ...!! قلبي يحزن عليكم ايها الرجال المكافحون على جانبي شارع المتنبي ...! قلبي يحزن على كل كتاب يطحن و يمزق في ماكنة الزمن و الحياة ، وهذا هو الزمن الذي يطحن فيه الكتاب ... ! ايمن ان يصدق ذلك...؟! و كأن كل الجهد الذي بذل فيه و من اجل اخراجه هو كي يطحن...!! أو انه يريد ان يثبت بان عهد القراءة و القراء قد ولى و راح ...! و أتى زمن يحشر فيه الكتاب في (كواني) و يفرم في ماكنة الزمن ... و من اجل ان يعيش الرجل الذي يقف خلف الماكنة ، هكذا يقول ابو عقيل ، و هو الرجل الذي يشتري الكتب بالوزن و القطعة و المتر من اجل ان يجعلها اكياسا ورقية ليفرمها و يطحنها و يجعلها عجينة أي ان معيشة البعض من الناس قد اصبحت معتمدة على قتل الكتاب ...! أيمن ان تصدق ذلك، ياسيدي المتنبي...؟ سل أبا عقيل في شارع المتنبي و هو سيعطيك الخبر اليقين ...

انها مأساة الكتاب الذي كان يحفظ في القلب، و الذي لا يجد من يهتم به و يرعاه في زمن الحصار اللثيم... و يحفظ امانة الكلمة في عنقه...!

لقد مللنا الانتظار، يا سيدي المتنبي... و سننفجر من هذا البؤس الحضاري، وبؤس الحصار الضاري الذي يضيق الخناق على رقابنا و فكرنا ، و يحاول ان يطحننا في ماكنة

الزمن... ها أنا اسير في شارع المتنبى ... الشارع النافذة المطلة على الحياة بكليتها ، و هي ليست مقتصرة على الحياة الثقافية حصرا، قبل فتح هذه النافذة لمشاهدة الحياة بكل تنافساتها و صراعاتها و اتجاهاتها ، علينا معرفة تلك النافذة (شارع المتنبى ...) روح الشارع، باعة الكتب و قرائها، و هم الناس الذين يشكلون هويته و اثارته و انفراده ...

فلكل واحد من باعة الكتب الطيبين حكاية ، لا بل الف حكاية مع الشارع و الكتاب... واول هذه الحكايات ، هي كيف بدأت الحياة للباعة على جانبي الشارع و بصورتها الحاضرة... البدء كان ، عندما أخذ الحصار يضيق خناقه علينا ، هكذا قال احدهم ، و بما ان المرء يعتاش بمهنة يعرفها أو مهنة يرثها فتصبح اداته الحياتية ، و بما ان المثقف أداته الكتاب ، و كما يقول صاحبنا و صديقنا ابو اشرف كان الكتاب يشكل ثقافتي و معرفتي ، و في زمن الحرب الطويلة ، كان معيني في ليالي طويلة ، و في هذا الزمن الصعب اصبح مهنتي ... ويتدخل بائع آخر للكتب و يتحدث برومانسية عاشقة عالية عن معنى الكتاب :

الكتاب نفسا و عشقا ترعرعت معه ، وعلى يده نضجت و سأسخ و أموت و عيوني مفتحة عليه ، لقد لعب الكتاب ادوارا كبيرة في حياتي ، فكان في الاوقات العصيبة للحرب ولثمانى سنوات معي في حفرة لا تتجاوز المترين يواسيني و يعينني و يعلمني كيف اتجاوز



أبو أشرف

تلك الدقائق ، بل الساعات والايام العصيبة الثقيلة فينقلني لكي اعيش مع ابطاله وأفكاره في عالم آخر... كنت اسميه خمرتي التي بدونها لا يمكن لي الاستمرار ... وجاء الحصار بكل ثقله و اذا به يلعب دورا آخر كبيرا

في حياتي فيصبح اداتي وبضاعتي ومهنتي ... اذن للكتاب في حياتي تاريخ طويل ، فهو معرفة وخمر وبضاعة... (هكذا يتحدث ابو اشرف عن كتبه).

وكيف يحدد سعر الكتاب ، سؤال يحمل في طياته ابعادا اقتصادية حول كيفية تحديد اسعار الكتب ، هل بموجب قيمتها الفكرية ام هي خاضعة لمعايير العرض والطلب...؟ يدرك بائع الكتب وجهة نظر القراء و زبائنه ، فعندما يزداد الالاح والسؤال عن عنوان معين تترامح في ذهنه مجموعة من العناوين ، يأخذ بدوره في البحث عنها ، وعندما يذهب ليشتري مكتبة بيتيه من احد القراء الذين تدفعهم الحاجة إلى بيعها يستند في تقييمها على ضوء العناوين التي يسأل عنها باستمرار ... تحس عند شرائك مكتبة شخصية ان في عيون بائعها مقدارا كبيرا من الحزن والاسى ، وهو يحاول جاهدا أخفاه من لحظة عرض الكتب وحتى لحظة انتزاعها من رفوفها، وهي في الحقيقة انتزاع شيء عزيز من النفس ، لان هذا الجزء العزيز من كيانه يعرض للبيع ، ويصبح له ثمن ، و اي ثمن...؟! أما عن اسعار الكتب ، فشتان ما بين القيمة الفكرية لكتاب و سعره، ففي اثناء الستينات و السبعينات و حتى بداية الثمانينات كان الرواج للكتب ذات البعد الادبي الراقى و الكتب ذات المنحى العلمي والعقلاني ، فهي تعبر عن تجاه القراء ، فالكتب ذات البعد الديني و الروحاني كانت موجودة و تباع بالصورة الاعتيادية ، لكنها لا تشكل ظاهرة و اتجاها ، اما في ايامنا هذه ، فلقد انقلبت المعادلة ... انحسر بيع الكتب الادبية و العلمية التي تحمل في طياتها التطلع الادبي و الثقافي و ازداد البحث عن الكتب التي تحمل في طياتها الخرافة و الشعوذة و السحر ، فهل تصدق يا سيدي المتنبي ، و بمقارنة بسيطة ، ان المجموعة الكاملة لاعمال دوستيوفسكي التي تزيد على عشرين جزءا يقل ثمنها كثيرا عن كتاب صغير من كتب السحر و الشعوذة...؟

أصل الشارع ، و ابدأ السير ، و في اول الطريق ، أجد صاحبي أبا جمال (خالد) في البداية و عند ملتقى شارع الرشيد بشارع المتنبي و كأنه أراد ان يختار هذا اللقاء بين عنصرين ... انه يصف كتبه على دكة صغيرة خربة من دكات شارع الرشيد ، ولا يعلم متى سينقض عليه

رجال لا يعرفون قيمة الكلمة و الكتاب ، لكي يصادروا كتبه...! أو يمزقونها ، أو يرموها في

الطريق...!! يقولون

انهم من الامانة

وياليت الامانة

تكون امينة على

المتنبي و كتبه قبل

ان تمزق كتبه تطرد

حفظه للكتب ،

وهذه الجمهرة من

المكافحين من اجل



خالد أبو جمال

بقاء المتنبي حيا في زماننا هذا...! ياليتها ، ترعاهم و ترعانا ... قبل ان ترمي بنا و بفكرنا

في كناسة الطريق...!! تحية يا صاحبي ابا جمال ، يرد التحية بأحسن منها ، و سيكارتته لا

تفارق يده ، يسرع لكي يخرج لي من طيبات الصباح ، رسائل أنقرا المقدسة ، خطط بغداد ،

دكتور مصطفى جواد ، كتابان لطيفان أحملهما و اسير في طريقي أتجاوز الشارع إلى الجهة

الثانية منه و إلى حيث يقف أياد ، تحيط به عربة الفلافل و عربة الشاي ، و كأنه يريد ان

يحوي في موقعه غذاء البدن و الفكر في وقت واحد ، لكن رائحة الفلافل تطغي على الفكر

في هذا المكان ، انه شاب لطيف لا تفارق الضحكة مبسمه ، و بروحه اللطيفة ، يقول بأن

يوم الجمعة يجب ان يكون المرء (البائع) صادقا فيه ، لأنه يوم مبارك و يذهب إلى المسجد

لأداء صلاته ، اما ايام الأسبوع ، فمسموح فيه بعض اللا صدق...! هذا الجواهري بطبعة

جديدة، مشاهير القرن التاسع عشر لجرجي زيدان ، و لأياد رأيه الخاص بكتابات جرجي

زيدان ، يقول انه لا يحبه ، لأنه لديه غرض في القصص و الكتابات التي يكتبها ... فلقد قرأه

جيذا ، و فهمه جيذا ، و فهم الغرض من وراء كتاباته ... نعم ! هنا لكل واحد رأي في الكاتب

و الكتاب ، و كيف لا يكون له ، و هو يعيش معهم ، ليله و نهاره ... و يفكر فيهم و بكلماتهم

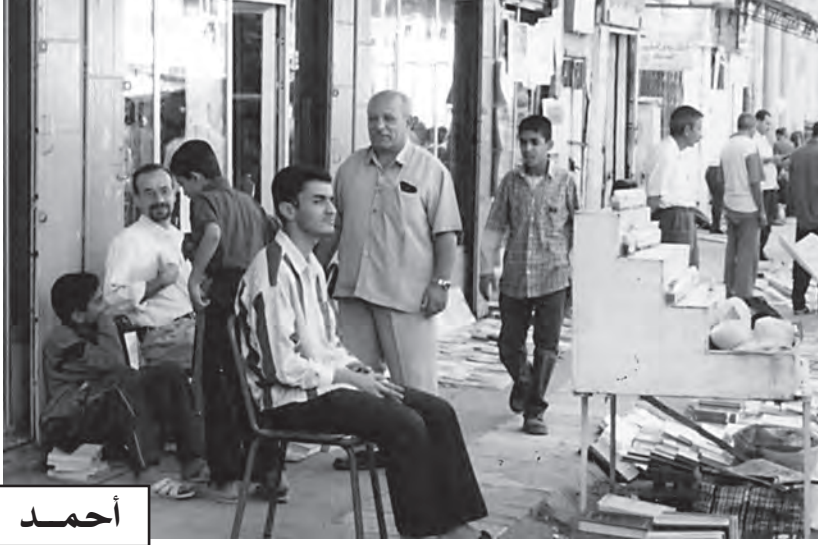
... ان اجمل ما في الشارع هو تعلم المرء المتجول الباحث من باعة الكتاب الخبراء في كتبهم ... فمن هنا رأي ، و من هناك رأي و تتجمع لنا آراء في كتاب معين ... ويوجد دوما بينهم من يعطينا أو يكشف لنا شيئا لم ندركه في قرائتنا لكتاب ما ... و أعود في مسيرتي في شارع المتنبي ، و أخذ منه المجموعتين ، و أمضي في طريقي ... أسير الهوينى و أنا في بداية شارع المتنبي ... تحية اخرى من صادق ، كتاب جديد ، بلاد ما بين النهرين باللغة الانكليزية ، جيد ، لا نختلف على السعر ، فأنا كنت قد طلبت هذا الكتاب منه ، و هو كتاب قيم ... خطوات ، و يجلس محسن مع ابي احمد الفنان فهد ، المبدع الرسام لا يتكلم ، يدخن ، و ينظر

إلى لوحته ... لوحة خيامية جميلة بألوان زاهية ... ومقاطع من عمر الخيام ... و أخذها لتكون حصيلة اخرى مع المجموعة ... نتحدث قليلا ، والشمس حلوة هذا الصباح ... عن الكتاب ، و عن الغلاف الذي يصممه لآخر كتاب ... عن اللون و الموسيقى ... و ينادي علي ابو ياسر ، صاحب مكتبة ياسر ، بعض الكتب الفنية الجميلة ، لا بأس أخذها مع ما أخذته من ثمار هذا الصباح ، وهو صباح يبدو مثمرا ... أسير خطواتي في الطريق ، وأصبحت ، مع الزمن مولعا بهذا الطريق ، و بالأخص في سنواتي هذه ، وكأني أخاف



فهد

أن أفقده ، أو هو الذي سيفقدني...؟ لقد اصبح جزءا عزيزا مني هذا المتنبي... في كل يوم اذرع الطريق ، أستأنس بالوجود ، كل يتأبط كتابه ، أو يقرأه ، أو يفرشه على بسطته على الارض ...! و ها هو احمد يهرع تجاهي هذا الكتاب الخاص ، حفظته لك يا أبا عدنان ،



أحمد

نتبارى حول السعر ، و أحب ان أبادله هذه المعاملة ، نتفق ، وأخذ الكتاب... و هذا علاوي ينادي و علاوي شقيق مازن ... عمي ابو عدنان ، أريد لمحات اجتماعية ، الوردى ...!! و هل هناك غير الوردى ، من يملك هذه اللمحات...؟! و ياله من وردى عزيز عليّ ، لم اترك كتابا من كتبه ، الا ، واقتنيته، قرأته منذ بداية الخمسينات، و هو شاغلي في القراءة، و مع وعاظ السلاطين الذي احدث ضجة عند اول طبعه و نشره... بحثت عن شخصية الفرد العراقي لأشهر ، حتى وجدته عن طريق الصدفة عند احد البائعين و تلقفتها منه و بالسعر الذي طلبه من دون مناقشة ... و تعجب ممن رآها معي و أخذوا يتساءلون : من اين حصلت عليها ...؟! المهم حصلت عليها، و هذا يكفي ... يجلس ابو فراس ، و سيكارتته لا تفارق فمه، لا جديد اليوم ، اما ابو ربيع ، فهو العلامة المتميزة في الطريق ، و مع المتنبي في هذا الزمن كان صوته يعلو ايام الجمع في مزاد الكتب الوحيد " مزاد الشطري " لكنه الآن خفت ... أتريد ان تخفت يا ابا ربيع ... لا تفعل ذلك ، يا ابا ربيع... لا تفعل ، و تصمت، فالشطري، صوت عال ، وروحه الطيبة في هذا الشارع ، لها نكهتها ، ولها ميزتها المحببة و نريد لها ان تبقى حية ، عالية ، تنادي على الكتاب، و على من يعرفونه ... و اياك ، اياك ان تسكت ، يا ابا ربيع ، و يهفت صوتك ... دعنا نبقى نسمعه ، و نسعد بلقائه و سماعه في صباحات

الجمعة... أسير، و السير لطيف وينعشني بين أروقة الكتب هذه والجديد منها، وبين اناس، أعرفهم وأحبهم، وأحترمهم، وأقدر مهنتهم... أنه الكتاب، و من لا يحترم من يقف وراءه، و يحاول ان يبقيه حيا، ولو على ارصفة الطريق و في الحر و البرد... ويقف في وجه من يجاربه، و يسعون لرميه في مزابل الزمن و الحياة... لكن هيهات... هيهات، و انى لهم



محمد جمعة

ان يفعلوا ذلك، ما دام هناك أناس يكافحون من اجل بقائه... و ممن يجلبون ابناءهم معهم، سعيًا منهم لتعليمهم حب الكتاب و مهنته... فهو حي، مثله، مثل جمال، اشرف، مصطفى، و علاوي، و غيرهم من الاطفال الذين أجدهم مع اباؤهم يحملون الكتب، يحبونها و يحترمونها و يرغبون فيها، بادرة تبقينا أحياء مع الكتاب و مع هؤلاء الاولاد و غيرهم... و أصل إلى مدخل بناية، مكتظ مدخلها بباعة الكتب و بائع الشاي، ازوغ في دهاليزها إلى حيث مكتبة الاعتدال و صاحبها محمد و هو ايضا لديه " بسطة" كتب اضافة لهذه المكتبة المتواضعة... شاب لطيف، الأدب يزين ملامحه، يعمل هو و اخوانه بادوار متناسقة فيما بينهم و بأشرافه، و الكتب التي يحفظها تراثية و أدبية، أستمتع بها، وهو يعرف هوايتي،

لديه ما أبحث عنه ... السلام عليكم ... يردون التحية بأحسن منها، و اجلس معهم و فيما بينهم ، و يطلب لي الحامض ، اشربه و انا اتفحص كتاب " العقائد الاسلامية " للعقاد، وهو بستة مجلدات ضخمة ... كتاب جامع لواحد من عمالقة الأدب العربي ... كتب اخرى يعرضها علي ... لا بأس، آخذ بعضا منها ... أنهض ، و امضي في طريقي في شارع المتنبى .. إلى اثنين من المتميزين القدماء في الشارع ، ابي جمال (عبد الناصر) ، و ابا أشرف (جعفر)، كل له اختصاصه الكتبي ، و ابي اشرف الكتب العلمية ، و هو واحد من المصادر للطلبة الذي يبحثون عن هذه الكتب ، و ابو جمال أدب و تراث ... الجلوس معهما لطيف ، و يخرج ابو جمال من تحت بسطته كتاب يخفيه لي ، لأنه جلبه خصيصا " الثابت و المتحول "، أدونيس ... كتاب ابحث عنه ، و بأجزائه الثلاثة ، يكون واحدا من المقتنيات الثمينة هذا الصباح ، لا نختلف ، حول السعر ، و لكنه يشترط ان ادعوه لماعون لبلي من صاحبنا " حسن " ابو اللبلي و عربانته " اللطيفة " ، لكن قبل ان نذهب ، هذا كتاب آخر لنزار قباني ، المجموعة الكاملة ، بثلاثة اجزاء ... لا بأس يا ابا جمال ، لكن دعنا نأكل اللبلي ... انه السفر في الادب الرفيع لهذا اليوم ، و لكن تمهل يا صاحبي ، و هل هناك ما نبحث عنه غير الادب الرفيع ...؟ الميزة هنا في الشارع ، ان كل واحد يجب ان يبتسم ليستقبل زواره الخاصين الذين يبحثون عن الكلمة و الادب ... لذلك لا تفارق الابتسامة الوجوه هنا فهي علامة ، علامة الاشارة



الفنان شكر (أبو سيروان)

للمحبة و التوافق مع الحياة و الادب ... اشراقة في الوجود ، و تكون حصيلة ثمينة لهذا الصباح حتى الآن ... لكن ، مهلا ، هناك يبقى واحد من اصحابي الذين يجب ان اراهم قبل ان ارجع عائدا و انا في منتصف الطريق ... انه صاحبي ابو سيروان " كاكسا شكر "

حاوي الكتب الفنية البديعة وضحكته التي لا تفارقه ، و جلسته الحلوة ، صاحبي فنان من قرى ديالى الجميلة ، يحب الفن و الكتب الفنية بوله شديد ، و اسلوبه حلو في عرض الكتب ، و المكان الخاص الذي اختاره ... أقبل مسرعا نحوي حالما لمحني قائما تجاهه ، و نادى على الشاي ... نعم الشاي ، هنا ، يجب ان تكون معدتي على استعداد لأرتشاف اقداح الشاي و التي لا بد من ارتشافه لمجاملة اصحاب الابتسامات الوديعه و الدعوات الادبية ، جلست في الشمس لأستريح و اتناول الشاي ، و اتصفح الجميل الذي يعرضه علي ابو سيروان ، و هل يمتلك غير الجميل الفني ، ابو سيروان ...؟! هذا كتاب نادر " (١٠٠) لوحة فنية عالمية " كتاب ضخمة يستحق المشاهدة ، و الافتناء ، هذه " الاعمال الكاملة لمايكل انجيلو " كتاب ضخمة و نادر ، يجمع الاعمال الكاملة ، هذا عن الانطباعيين ، و ابو سيروان يحب الانطباعيين بصورة خاصة ، و فيه لوحة توضع في القلب ... أمري إلى الله يا صاحبي لنضعها مع المجموعة الاخرى ... و يضعها صاحبي في سيارته ، لأنه يساعدني في اخذها إلى المحل ... يا صديقي ، انها لوحة فنية و رؤيا لهذا الصباح في الشارع المتنبي ... و على الرغم من شحة الكتب في هذه الايام ، فأنا نسعى في الحصول على ما نستطيع ، و على الرغم من هذا الحصار اللثيم ... فهل يمكن ان يعقل ان تسمح لمثل هذا المركز الأدبي و الجوهر الفكري ، لأن يزول من قلب بغداد الحبيبة...؟! و هل عروض اصحاب الدولار لبضاعتهم في الشارع ، أهم من عروض هؤلاء الناس المكافحين من اجل الفكر و الأدب و من أجل ادامة وجه بغداد الحضاري و التصدي لكل هجمة همجية تريد ان تنقض على بغداد العزيرة ...!!

اثنا عشر قرن مرت و لم يزل المتنبي شاغل الدنيا ، و طريق شارع المتنبي ، ايضا شاغل الناس من اجل المتنبي ، نفسه ، و ابن جني ، و الطبري ، و ابو العلاء ، و الرصافي و وو ... و مئات بل الالاف من هذه الاسماء ، و هؤلاء الرجال الذين شيّدوا حضارة الفكر ، في وطننا الحبيب ، منذ ايام كلكامش و حتى حاضرنا ، اليوم ...!! أيزول ...!! أيجرؤ من ينقض عليه ، و يزيل هذه البسطات التي هي علامة الطريق ، لوجود المتنبي ، و فكره ... كما يزيلون تمثاله في كل يوم من مكان إلى آخر ...!! علينا ان نعصد بعضنا البعض ، من أجل ان نبقي

هذا المعلم في الطريق ... و ان يبقى المتنبى ، النصب ، ايضا ، معلما شامخا في قلب بغداد الفكري... فالمرء ، أو الباحث عن الكتب عندما يقف امام بسطة كتب مفروشة و منتقاة، هي غير ان يذهب إلى مكتبة و يبحث في رفوفها عن كتاب ... هي غير ان تتبادل أطراف حديث الصباح ، و انت ماشي ... كما يقولون ... و مع من يقف هناك في الطريق ، و هو ينتظرك ، بأبتسامة...! و تستطيع ان تساومه على السعر ، من دون زعل...!! حتى وان كانت المساومة في غير محلها ، أو غير لائقة بالنسبة لسعر كتاب ... و هو بخس الثمن في زمننا هذا ... و زمن ينقض فيه التراب على الكتاب ، و يحاول طمره ... و آه من أناس يحرقون الكتاب ، يطحنونه و يمزقونه ، و يعملون منه اكياسا و عجينة...؟!

ايمن ، أو ، أيعقل ان تصبح كيسا ، يا ابن الجني ...؟! أيمن ، ان تصبح عجينة ، ياطيري...؟!

اذن اين سيذهب تعب السنين و الزمن...؟!

اين هي الليالي التي سهرتموها ، على ضوء الزيت ، و أنتم تسطرون الملاحم...؟!

اين انت يا خليل ، يا فراهدى ، كي تسمع ، و لكي يعود الصدى لأذانك ، و انت تضع الموازين...؟!

اين انت يا أصبهاني لتسمع اغانيك ، و هي تعود اليك اصداء من اكياس الزباله... و تستنجد بك...؟!

أتعود ، و تقف شامخا ، يا متنبى ، و تتحدى الزمن ، مثلما تحديته في القرن الرابع الهجري و تسد الثقب الذي اوجدوه و تركوه في عجزك...؟! و كأ أنهم ارادوا ان يطعنوك من الخلف ... و بيد من...؟

يد من يجب أن تكون أمينة على حب بغداد و تراثها و رجالاتها الذين أثروها

بعطاءاتهم ... من يجب ان يكون واعيا لقدرها و دورها ... و من يجب ان يعطي المتنبي حقه في هذا الوجود و الخلود ... لا ان يتركه مطعوناً في عجزه على قارعة الطريق ...!!

ايه ... ! و آه ...!! يا متنبى القرن العشرين ...!

من بإمكانه ان يحمل اثقالك ، و انت الذي اصبحت تزن اطنانا من السمات والحديد و كأنهم ارادوها ان تثقل كاهليك في هذا الزمن ، و لا تتحرك ...!!

أهذا ما أردته ، ايها الفنان العريق ، لتنبينا في هذا الزمان ...؟! بعد ان كنت تطارد الزمن من على صهوة جوادك ما بين عواصم الدنيا ، بغداد ، معرة النعمان ، دمشق الشام، قاهرة الكافور ... و تشق عباب الصحراء ملتحفا بعباءتك ، غير عابئ بأعدائك ، و اعداء الزمن ... و غير عابئ لمتقلباته ، و مغادر الغدر و الخيانة التي طعنك ...!!

رحماك يا متنبى ذاك الزمان ...

رحماك يا متنبى هذا الزمن ، القرن العشرين ...!!

انها حياة ناس ، و ان اردنا ان نكتب عن حياتهم ، فأنا يجب ان نعيش معهم... نتحسسهم ... نتعرف عليهم في كل ناحية من نواحي حياتهم ... أحلامهم ، جذورهم واصولهم ... و عن كل ما يحيط بهم من ظروف تضعهم في مكانهم في الحياة ، فكيف اذا كان اولئك الناس يتعاملون مع الفكر و الكتاب و الناس ...؟! يتعاملون مع الحياة... يفترشون الارض ، و يفترشون سنان الحياة و الفكر معهم ... كيف ينظر المرء لهم ، و بأي طريقة ينظر ...؟! بأية طريقة يتعامل ، و يفكر بها معهم ...؟! حياة خاصة ، لأناس خاصين جدا ، و جدا جدا في الحياة ...! كيف ؟ سألت نفسي ، وانا اقطع الطريق ، أفكر بأني قد اصبحت منهم ، أعيش حياتهم ، و أتحسس معاناتهم التي يكتمونها في انفسهم ... معاناة أي انسان يكسب عيشه اليومي ... فكيف اذا كان هذا العيش من وراء كتاب ، و الكتاب يتعرض

لبرد ومطر الشتاء ، و شمس الصيف الالهة ...؟! انهم ليسوا برأسماليين أو بورجوازيين، لكنهم كسبة بسطاء ... يتعاملون ببساطة و اناقة مع الكتاب ، و مع من يبحث عنه ... وما اجمل منظرهم في اول الصباح الباكر و هم يخرجون بضاعتهم ، من الكتب ، لبسطها في الطريق...! وما اتعس ايام المطر الذي يطاردهم و يحيفهم عن جادة الطريق لكنهم يقاومونه ، نعم يقاومونه بتغطيته بالنايلون حتى يبقى الكتاب يعرض نفسه على الرغم من قساوة الطبيعة ... وان قاوموا غضب السماء ، فكيف يقاومون ، أو بإمكانهم ان يقاوموا، الأفراد الذين يأتون بغضب و عنف لرفض بسطات الكتب ، مصادرتها ، و حتى رميها في الطريق ، من دون حرمة لهذه الكتب ، لأنهم يتهمونهم بالتجاوز ...!! تجاوز ! و على من يتجاوز ابن النديم او المعري ...؟

على من يتجاوز ابن الهيثم و ابن سينا ؟

أيمكن ان يخبرني أحد ...!

نعم ! أتمنى ان تعود ، و ان تخبرني يا سيدي المتنبى ...؟!

نعم ! أنهض ، و اخبرني ، بقصيدة جديدة للقرن الواحد و العشرين ...!!

الكتاب يفرم ...؟!

الكتاب يمزق ...؟!

و الكتاب يحرق

و يرفض ...؟

أهذا ما قاله الشعراء و المتنبئون ، عن زمن يهدر فيه الكتاب ...!! أخبرني سيدي

المتنبى ؟ أخبرني ...!

أنترك افراداً أعمى الزمن ابصارهم ، يفعلون ذلك بك ، يا سيدي المتنبي؟! يرفضون
اسفارك و اشعارك بأقدامهم في وضوح النهار ، و في قلب بغداد العريضة...؟ يستهينون بك ،
و بقدرك...!

من سمح لهم بذلك ... ، من سمح لهم بالاعتداء ، على تاريخك يا طبري...؟! كيف تكون
هناك نزهة في هذا الطريق ، و انت ترى مثل هذه المطاردة و هذا الحزن ، امام عينيك...؟
كيف يمكن ان تستمتع بالحياة الفكرية في هكذا حال...؟! ان الكتاب علامة الطريق ...
علامة مضيئة ، اشارة إلى حياة ناس هم المكافحون من اجل بقائه حيا ...

في مسيرتي هذه التقي وجهها لوجه ، مع العم احمد ميركا ، رجل خاص حسن ، لا يمكن
لك ان تعرف أو تقول بأن هذا الرجل موسوعة كتابية ، يتلمس طريقه بعصاه ، و هو يبحث
خطاه في المسير ، انه معرفي ، و ما من كتاب يأتي ذكره ، الا و يعطيك تفاصيله الكاملة ...
تاريخه ، كاتبه ، زمانه ، و الاهم رأيه ، و هل هناك ما نبحث عنه ، غير الرأي السديد في هذه
الحياة الفكرية ، و من اناس ، مثل العم احمد ، يعيشونها ... نتبادل اطراف الحديث ، انه
يريد شاهنامه ، و انا اريد عصر المأمون... فكيف سنصل إلى توافق بين هذين العصرين...؟!
لكننا نصل ، و احب ان امازحه قليلا ... انه يريد ان يستمتع بشاهنامه الفردوسي ... و لا
بأس من تبادل المتعة مع من يستحقها و يقدرها ... و العم احمد يستحقها ...

في هذا السير ، اللمسات الحلوة تتدفق مع اشعة الشمس المشرقة ، و مع الوجود المستأنسة
التي تطوف الشارع ... الشارع علامة من علامات المدينة ، و المدينة احبت الشاعر ، و عليها
ان تحب الشارع ، تعرفه ، و تعرف قيمته ... بقيت العلاقة بين المدينة و الشاعر المتنبي عبر
كل الزمن و اطراف البلاد ... فمتنبي واسط هو في بغداد ، و بغداد في قلب الشاعر ... لكن
الشارع يقبع هنا ، في مركز المدينة ، في قلبها و روحها ... و مثلما كان الشاعر في قلب المدينة
و أحبته ، فعلى المدينة ان تحب الشارع المتنبي و تضعه في القلب ... هذا الشارع الأثر لكل
انسان يعيش فيه نهاره ، و من يتخبط فيه في ليله ، و في ازقته ... و الليل له سكناه ايضا في

الشارع المتنبى ... لكن النهار ... الضوء ، النور و الحياة ... هي التي تترك الاثر في هذا الشارع ، هي التي تعطي قيمه له و لرجالها ... رجاله ! اناس يكافحون من اجل البقاء ، و من اجل المحافظة على الكتاب و قيمته ... مع الكلمة ، و مع الجوهر الثقافية الحقيقية للبلد ... لقد كانت الصحف ، في يوم ما ، و منابعها وتوابعها ، تسكن في هذا الشارع ، و ما حوله من أزقة ... حيث كانت المطابع تدور في السرايب ، و حيث كانت الصحف في الغرفات ... هنا ، في مكان منه ، و في احد ازقته ، عاش حبزبوز الصحفي النابه نوري ثابت ، في أيام عزه و شقائه ... و من هنا كانت تنطلق حبزبوز ، في الثلاثينات ، كل صباح لقرائها ، و لا أحد يعرف او يدرك الآن ، بأن نوري ثابت رحمه الله ، كان يحرر و يكتب و يطبع جريدته ، بثماني صفحات و حده ، و هو وحده الذي كان يشرف على كل حرف فيها ... لا يساعده الا محاسب شاب بقي يتجول في بغداد هو ناصر جرجيس ... و وحده كان يسعى لأن تكون حبزبوز جريدة ناطقة بشكلها الهزلي والكاريكاتوري تعبر عن مشاكل الحياة اليومية للبلد ... و ما اكثر ما كانت تغلق لأشهر و من ثم يعاد طبعها و تغلق بالطبع ، لأنها كانت تتحدث عن طريق الهزل بمشاكل الحياة اليومية و الاجتماعيه و السياسية للبلد ... من هنا كان الكرخي يلعب بأصابعه على الوريقات و يخرج مجرشته و صحيفته منذ العشرينات ... و ينشر اشعاره الشعبية على صفحاتها التي كانت تتداول على كل لسان في صباح اليوم التالي ... هنا ، كان اناس يكافحون من اجل الحياة و البلد ، يعيشون ، و ينطقون كلمة الحق ، من اجل الوطن ، العراق ... هنا ، كان المدرس ، فهمي يكتب مقالاته الشهيرة ... هنا كانت تخرج صفحاتهم ، و تغلق بعد اسابيع ، لأنها تنطق الحقيقة ، و الحقيقة مرة للذين لا يحبونها ... من هنا حرر رفائيل بطي ، جريدته البلاد ، و من العشرينات ... سلمان الصفواني ، توفيق السمعاني ، خالد الدر ، جبرائيل ملكون ، و عشرات الصحفيين و الادباء ... عشرات الصحف و المجلات التي لا حصر لها ، ظهرت من هنا ... و ان كان المرء يريد ان يطلق اسما على هذا الشارع ، فإنه بحق كان شارع الكتاب و الصحافة ... صحافة و كلمة لعبتا دورهما في النضال الوطني منذ اوائل القرن هذا ... صحافة كان لها دورها ، في اعلاء الكلمة و في بناء الوطن الفكري ...

طوال هذه العقود من السنين ، في زمن لم يكن فيه وجود لتبريد او مكاتب فاخرة مرفهة... حيث يحرر حبزبوز صحيفته يكتب بيد ، و باليد الاخرى " مهفه " ... ذاك كان زمن ، وهذا زمن آخر ... من بيده الأمر ، ليعيد لك جزءا من تلك الحياة ، يا سيدي المتنبي ...؟! من بإمكانه ان يعيش ايامك ، غير رجل عرف الشارع ، عرف الطريق ، و أهله ... رجل ابتدا مع الكلمة ، و مع كل كلمة قرأها : " اقرا باسم ربك الأعلى ...

هكذا يجب ان تكون ، يا متنبي ، و تبقى علامة في الطريق ، يجب ان تكون هذه الآية الكريمة ، هي البداية ... هي العلامة ... و هي الاشارة لكل انسان : اقرا ... اقرا ... ثم أقرا ...

اذا كان كتاب الله الكريم ، قد ابتداء بهذا الامر ، و بهذه القراءة ، أفيمكن ان تكون النهاية و بحق لا نعلم ما تقرأ ...؟ هكذا ابتداءت هداية الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وابتداء معه الاسلام ... ابتداء بالقراءة ، و لا يمكن ان يقف عند منتصف الطريق ... اقرا بأسم ربك الأعلى ... كلنا لا نعلم ، حتى نعلم ، كنا جهلة في اول الطريق ... و لكل طريق معرفة ... و المتنبي هو جزء من هذه المعرفة ، و جزء عزيز من هذا المحيط ...!

" ابو عدنان " صوت يباغتني من قريب ... حيث اصبحت في لحظات في غفلة عن الزمن ... و انا ما بين حالم ويقظ ، مع يقظة المتنبي ، شخص لا أعرف اسمه ، لكنه يعرفني ، هذه مجموعة كتب ، انظر لها ، هل تعجبك ...؟ جميل من ينادي عليك ، و يعرض عليك معرفته ، و الاجمل ان تتصفح الكتب و تجد بينها نفع الطيب ... بعشر مجلدات ، و هي شروحات كاملة لشعر المتنبي ... و كأن اللحظة ارادت ان تسعفني في وقتها ، مع الرجل ... نعم ! هذا الكتاب كان معي ، استعاره صديق لي و لم يعده ، نتساوم على السعر ... نتفق وآخذه منه ، و يصبح نفع الطيب بين يدي ، في قبضتي ، لكن المتنبي يفلت من يده ... وإلى اين يهرب ...؟ إلى يد أمينة تحبه و تقدره ، و تحفظه في القلب ... في مكان امين حيث يليق به المكان ، ويأخذ او يجلس في مكانه الحق بين اخوانه من الكتب الأخرى ، مثل الأغاني ،

تاريخ الحضارة ، تاريخ الطبري ، ابن كثير ، ابن الهيثم ، ابن فليته ، الطبرسي ، والعشرات من اصدقائه و احبابه الذين يكن كل واحد منهم له الحب والتقدير هكذا يكون مكانه ، وهكذا يكون التقدير الحق له في زمن هو احوج ما يكون إلى مكان أمين يأويه ... وانا آوويه إلى حيث يطمئن بأنه في راحة زمنية ، في الاقل في زمن حياتي و عمري في هذا الوجود ، و في هذه الحياة ... هذه الحياة التي أعيشها و التي تمكنني في ان احافظ على البعض من الجميل لهؤلاء الناس الذين اورثونا فكرا وكرياء نفخر بهما ، و يبقى يفخر بهما أجيال و أجيال من العرب و من اناس هذا العالم الذين عرفوهم و عرفوا قدرهم و أثرهم في الحضارة العالمية والفكر الانساني... مفكرون عرب ، مسلمون ، لم يتمكن الزمن و لا المغول ، و لا كل الهجمات البربرية على هذا البلد ان تطمس اثرهم ، و تزيلهم من الفكر الانساني ... فمرحى و الف مرحى لهم ، لأنهم بقوا احياء معنا و بقينا بفضلهم احياء ... و يالها من فرصة تملأ القلب ... أسير مطرفا في الطريق .. هناك الكثير من الناس الذين يأتون إلى هذا الشارع ، يشترون ، يبيعون و يستأنسون ... و يتحاورون ... الكثرة من الادباء و المثقفين و العلماء التي ترتاد الشارع في عملها او تبضعها او نزعتها ... اناس يقدمون من



كافة المحافظات للبحث عن حاجاتهم و شرائها نلتقيهم هناك في طريق الصدفة ، مرة في الأسبوع أو في الشهر ، وجود محببة بعيدة عنك في مدنها ، لكنها تصبح ، و بصورة مفاجئة لك في المتنبي ... نعم ! في المتنبي ، و هو الجامع لكل هؤلاء الصحاب الباحثين عن المعرفة ، و الباحثين عن العيش ... منهم مثلا : عباس الجايحي ، كل واحد يفضل ان يشرب الشاي عنده ، و في محله الصغير في زاوية من الزوايا المخفية في الشارع ... عازف الناي : الذي يؤنس الناس و يفرح قلوبهم ، و يذكرهم بتلك الالحن القديمة التي يحب ان يعزفها و هو ماش في الطريق... سألته مرة : هل تبيع الناي ؟ اجابني بأبتسامة : لم احمل كل

هذه النيات معي ان لم أبعها لأعيش من ورائها؟!!! سألته لأنني لم اره يتوقف عن العزف، فكيف يبيع اذن ؟ تساءلت مع نفسي ، واشترت نايًا منه ، يمكن اتعلم العزف منه في يوم ما ...

و عن يميني اجد صاحبنا عبد الحسين المطليبي يفتش الارض كتبًا ويعرض علي ما طاب من ادبه و معرفته و اباغته في السؤال ان كان يتحفنا بكلمات عن هذا الناي و شارع المتنبي ، و يعدني بأنه سيفعل ذلك و يصر ان يهديني كتاب الساكنين للرافعي ، و هو كتاب قديم قرأته و أستعذبت الرافعي في اسلوبه ، آخذه وأشكره ... و أبقى انتظر القصيدة... و التي ستكون خاتمة هذه الوريقات ان شاء الله... الحديث الممتع مع ابي علي المطليبي يشاركني فيه الفنان فهد : الكتاب ليس مجرد وريقات نقرأها و ننهي منها ، انه العلاقة مثل العلاقة بالأرض و الوطن ... ان تفقد كتابا معناه تفقد وطن ...!! لذلك حافظنا على الكتاب في الخندق مثلما حافظت و دافعت عن الوطن ، فهو معي ، كل حياتي، و هو جذري في الحياة مثلما تمتد جذوري في الوطن ...

نعم ! هكذا هو الكتاب ، و هذا هو معناه مع هؤلاء الناس الطيبين العراقيين الأصل و الجذور ، يتعلقون بحبهم بالكتاب مثلما يتعلقون بحبهم للوطن ... فكيف يمكن ان نجازي هؤلاء الناس الجهوليين و المكونيين في اروقة المتنبي...؟!

الجمعة صباحا

ما الذي يجعل يوم الجمعة ، هو يوم خاص في حياة المتنبى ...؟ لبغداد اسواقها اليومية ، و لها اسواقها الأسبوعية ، التي تعتبر ميزة خاصة لها ، و لها نكهتها في ايام الجمع ، فالمتنبى هو احد الظواهر المتميزة في مدينة بغداد ، و لكل من يبحث بصورة خاصة عن بغيته الأدبية ... و منذ الصباح الباكر يكتظ الشارع بالناس ، و بالباعة الجدد الخاصين بيوم الجمعة ، و الذين لا يأتون للبيع أو لعرض كتبهم الا في هذا اليوم ، و المكان الخاص لكل منهم محجوز ... في هذا اليوم ، تتغير خارطة المكان بالنسبة للباعة اليوميين ، ويأخذ الكثير منهم أماكن غير الأماكن التي اعتادوا الجلوس فيها أيام الأسبوع ... و هذا أمر لا يعرف سره الا الباعة أنفسهم ... و هو لا يغير شيء من الوجود في الشارع ، الا ان يكون تغير المكان فيه تغير للحظ و البيع في هذا اليوم ، لا أحد يدري الا الباعة أنفسهم يعلمون سر ذلك ... وهم الادرى بصنعتهم و تحول المكان ... في هذا اليوم يستقبل المتنبى وجوه جديدة ، اضافة إلى الوجوه المعتادة ، اليومية ... البعض يأتي للنزهة ، البعض لبيع كتبه ، البعض لشراء كتب او البحث عن كتاب ... تتساءل مع البعض ، لم لا تجد من رواد الشارع من النساء الا القليل جدا اذ لا يتجاوزن اصابع اليد من بين المئات من الرجال ، الذين يبحثون عن الثقافة ...! اليست هذه ملاحظة جديدة بالاهتمام ... ألا تتفقين معي يا سيدتي بأن العزوف عن البحث عن الكتاب أو القراءة ، هو العزوف عن ثقافة لا بد منها ، للمرأة ...!! ليت المرأة التي تبحث عن مساواتها مع الرجل وتبحث عن التنافس معه في كل مجالات الحياة تزاممه في البحث عن الكتب ، حتى تتساوى معه فكريا ...؟! و الا ما هو هذا النقص في الجانب الحياتي النسوي...؟ البعض منهن تعلق بأن أزواجهن أو اخوانهن هم الذين يجلبون الكتاب ، ويقرأه...!! و هذا

امر غريب يتبجح به ، و يسدن الثغرة ، او يحاولن ان يسدننها في حياتهن ، ولكن انى لهن ذلك ، ان لم يجهدن انفسهن في عناء البحث عن الكتاب القراءة ... عاجزات و متكاسلات في القدوم إلى شارع الثقافة ، لكنهن يترآكضن او يتسابقن إلى مجالس الحديث و الطرب ...!!
 أهذا ما تؤول اليه حالكن يا سيداتي الفاضلات ...؟! عجب ، والاعجب هو هذا امركن ...
 لكننا نترآككن في حياتكن و مطبخكن ، حتى لا تترآكن الرجل يجوع في عودته من المتنبي ، وهو يحاول ان يجلب لكن بعض ثقافتكن ...

كثير من الاشخاص يأتون بلهفة في اول الصباح ليتسابقوا في الحصول على الوجبات الاولى من الكتب التي تطرح في السوق ... و هناك نفر من المتحذلقين الذين يأتون خصيصا لاطهار انفسهم في هذا المجتمع و التجمع الثقافي الجمعي ... ليقول من يراهم بأنه قد شاهد فلان الفلاني ، وهو يتحث إلى فلان ، و يناقشه ، و من ثم يذهب إلى مقهى حسن عجمي ليجلس مع النخبة و ليقول الذي يراهم ، بأن هذه النخبة من المثقفين تجلس هنا ، و تناقش هذا القادم من عمان او بيروت او من اي مكان آخر ... اناس من مختلف الفئات تؤم الشارع في هذا اليوم ، و مع اشتداد ازمة الحصار و قدوم مندوبي وكالات الصحف و الانباء الاجنبية إلى بغداد ، فأن هذا الشارع هو من اول اهتماماتهم ، يتساءلون عندما يرون هذه الحشود البشرية بين الكتب : أحقا هذا البلد في حصار و يقرأ ...! و يفكر ...؟ أمر غريب بالنسبة لهم لا يصدقونه ، يتساءلون مع انفسهم و يسألون ... نعم ! هاهم العراقيون ، هنا في شارع المتنبي ، ينبوع الثقافة الذي لا ينضب ، و عقول العراقيين لا يمكن ان تنضب طالما هناك كتاب ، و كان هناك فكر و عقل فعال ... و خاصية العراقي هي هذه ، العقدة القرائية ...! نعم ! يمكن ان اسميها هكذا ... فعندما يقول احد الباعة بأن معه في خندق القتال كتاب ، قصة ... فإنه يتحدث بصدق عن نفسه ، و عن معيته في كل ظروف حياته ... وهذا ما يجعل الاجنبي لا يصدق ذلك ، لا يصدق بأن العراقي ، و حتى في هذا الزمن ، يدب ويسعى في البحث عن ضالته الثقافية في ارجاء و زوايا هذا الشارع ، الشارع المتنبي ...

يا شارع المتنبى :

ابق لي طربي

و كن لي رسول و نبي ...!

و ستبقى لي دوما

صديقا وفي ...

يستغرب مندوبو وكالات الانباء الاجنبية ، و هم يرون فان كوخ ، مايكل انجيلو ، رامبرانت ، دافنشي ، دانتي ... و غيرهم من فناني عصر النهضة ... لهم مكانهم هنا في هذا الشارع المتنبى نعم ! انهم موجودون ، و بعناية فائقة يستقبلهم الفنان فهد ، وهو يعرضهم بلوحاته بعده محمد ، الذي يجمع الكثير و الكثير منهم ، و يعرضهم بصورة فنية تجذب لها الانظار ... اما شكر ... ابو سيروان ، فإنه كفنان ، يريد ان يحتفظ بكل قطعة فنية ، وكأنها جزء منه ... يغلفها بأنافة ، و يعرضها بعناية فائقة... هذا هو ما يصدم الاجنبي... هذه الظاهرة ، و كيف يحافظ العراقيون على تراثهم ، اضافة للتراث العالمي ، و يجدون من يبحث عنهم ، و عن عصرهم ... اضافة إلى جمهرة من الفنانين العراقيين و اعمالهم كجواد سليم ، عطا صبري ، فائق حسن ، أكرم شكري ، محمد غني حكمت و كثيرين غيرهم ، انهم يزينون الشارع بجماليتهم... و هو جزء من بغداد و تراثها ، و جزء عزيز مني و من البلد ، و الشارع يحاول ان يبقي بوجودهم اثرا بين الناس ، حتى يجدهم كل من يبحث عنهم... من اول القادمين إلى الشارع في الصباح القاص الركابي متوكئا على عصاه ، مغطيا رأسه بقبعته مخافة برد الشتاء ، يتمعن و يتفحص الكتب الملقاة في الطريق ... و عناوينها جيدا ... يبدأ من أول بسطات الشارع ، بعدها يقف عند زميله الخلف ... أحمد ... الذي يجلس خلف كتبه مع ولده اللطيف حيدر الذي يبدو قد شب على ابيه في حبه للكتاب و الثقافة ، فهو مهتم ايضا بالكتاب ... و تراه في اول الصباح ، الجمعة... يذهب و يعود مسرعا لي جلب ما يتحف

الرصيف من ادبيات و مقتنيات الخلف ... أحمد ... ان كل زهرة من هذه الزهور التي تأتي مع ابيها في يوم الجمعة ، و من الساعة السابعة صباحا لهي زهرة نادرة ، يضعها المرء في القلب ... حيث يترك مثل هذا الشاب ، الولد ، صبيحة الجمعة التي هي يوم راحته و أنسه مع اصحابه ، و يأتي ليعمل هنا ، و يجلس بين اسماء لامعة ، لا بد ان تبدو عالقة في فكره... كل واحد من هؤلاء الاولاد يقرب القلب الكتب ، يعرفها ، و يبدأ مع الزمن يدرك محتوياتها ... والتي لا بد ان يكون لها اثر في عقله و توجهه و مستقبله ... و انا احب ان اتحدث إلى هؤلاء الاولاد، اصحبهم و أستانس معهم ، و بالأخص عندما يعرضون أو ينوهون عن كتاب جديد معهم و في بسطتهم .

و هذا قاص و اديب آخر ، يقرب من صاحبه الخلف ، احمد ، و هو يحمل كيسا أتعبه الزمن في حمله ، يحوي كتبه و قصصه التي جاء بها لعرضها و بيعها في هذا اليوم لسد حاجة البيت من المصاريف ، و هو يفعل ذلك كل جمعة ، حتى اوشكت ان تنفذ خزائن كتبه ، و ماذا سنفعل بعد ذلك، يا سيدي الأديب ...؟! ماذا سيفعل غيرك ، و هم في نفس الموقع الذي انت فيه ، و هم يبيعون العزيز من فكرهم و ثمرة حياتهم في السوق ...! هل ادخروا الفكر لوقت الحاجة و العوز ...؟ الفكر لا يغذي البطون ، لكن ، يسد بعضا من الحاجة ، و ياله من زمن يتشردم فيه صاحب الفكر في السوق ! و يبحث عن عيشه فيه... انه يجب ان يأكل ، ويتغذى الاطفال ... انهم يجب ان يعيشوا ، و لا صنعة او مهنة لهذا الاديب غير فكره و قلمه... والقلم بدأ يبلى ، و الاصابع تتعب ، و العمر يمضي ... و ينظر اليه ابا عشتار من خلف نظارته ، و هو جالس على كرسيه الصغير ينتظر بين كتبه و بسطته، ودخان سيكارتته يتصاعد، و نظارته الحزينة تبصر هذا المشهد ، و هو مشهد مألوف بالنسبة له في ايام الجمع، و هو يعرف هؤلاء الناس مثلما يعرف غيرهم ، الذين يتوافدون على هذا الطريق ... مثل هؤلاء الرجال احرقوا جل حياتهم في البحث و الاستقصاء من اجل ان يكتبوا قصصهم وادبهم، و بعد ان سدت في وجوههم سبل العيش ، راحوا يبيعون بضاعتهم الفكرية من اجل العيش... البارحة ، يا صاحبي ... يتحدث احد الادباء الباعة، كانت

مبيعاتي سبعمائة و خمسين ، و أحجل ان أقول بأنها دينار، و هي لا تسد مصاريف الذهاب و الاياب و استكانة شاي و سيكارة ... كيف يمكن لها ان تسد بعضا من هذه التكاليف...؟ و البيت ...! ماذا سأفعل أو أقول لهم ...!؟ سوى أن اندب حظي و زمني على هذا اليوم ...! هل اكتب ذلك في مذكراتي ، أن كانت هناك بقية من وريقات ...!؟

أتحاشى هذه الاحزان ، و أسير في خطوي نحو الجهة الثانية من الشارع ... لألاقي التوفيق ، ابا طيبة ... كتبي وقارىء و معرفي ،اكيد انه يحمل كتابا يريد ان يعرضه علي ، كما يفعل دوما ... كتابا ضخما عن تركستان لكاتب روسي ، و لكنه كتاب فريد يبحث عن دور هذه الجمهورية و المسلمين فيها و علاقتهم بالعرب تاريخا و حاضرا ... و أخذ الكتاب منه وأشكره ... و أمضي ...

اليوم نحن في نزهة ، في هذا الشارع الجميل ... فلقد انعم الله علينا بشمس مشرقة في شهر شباط الجميل هذا ، و يريد لنا ان نتمتع بها و بلطفه و بعطفه مثلما نستمتع في الحصول على هذه المقتنيات الجميلة ... و الشارع يكتظ بالناس ، متفرجون ، يسلكون الطريق لنزهة يوم الجمعة و مشاهدة معروضات الكتب ... بعدها أقف عند مازن ، و يومي لي بطريقته الخاصة التي تظهر بأن لديه كتابا خاصا، انظر له ، ليخرج الكتاب نزهة المشتاق انه فعلا كتاب قديم و ثمين ، مطبوع عام ١٩٢٣ المؤلف يوسف رزوق غنيمة ، واحد من الباحثين الاوائل الذين اتحفوا المكتبة العربية بكتاباتهم النادرة ، منها ايضا الحيرة و هو عن مملكة الحيرة ، تاريخها و تاريخ ملوكها ، و هو يعرف بأن الكتاب ثمين و نادر ، لكن لابد ان اصل إلى نقطة التوافق معه ، و أصل بعد حديث هنا ، و كلمة من هناك ، أضع الكتاب بين كتبي الاخرى ، و أسير ، و عند ائتصاف الطريق ، وأواجه جاسم ، الاستاذ المعلم الذي ترك التدريس في سبيل لقمة العيش هنا بين الكتب ، يقول ماذا يفعل لي الراتب ، انه لا يكفي مصروف يومين أو ثلاثة ، و علي ان اعمل عملا اضافيا في سبيل العيش ، وهنا في المتنبي استطيع ان اعيش بين الكتب و منها ، و جاسم هذا شخص ظريف له قصة ظريفة

مع قطته أو (بزونته) ، ميادة ... ولقد اطلق عليها هذا الاسم من خلال قصيدة كتبها عنها، متغزلاً بها ، اذ يقول انه في ليالي الصيف يحب ان يجلس فوق سطح الدار و يعيش هناك، و في كثير من الاحيان يحب ان يأكل السمك مع قليل من الشراب ، و حالما يصعدون السمك إلى السطح ، و تشتم البزونة رائحته حتى تظهر في مواجهته ، و اصبحت معتادة على هذا الموعد . مع جاسم و سمكته ، و هو ايضا يستأنس في صحبتها على سطح الدار ، اذ يأخذ برمي العظام و باقي السمكة لها ، و هي تأكل ، و هو يحادثها ، حتى وصل إلى قصيدته الشعبية معها ... عندما أتركه ، يبدأ يصيح بأعلى صوته : " كتاب بمئة دينار ، و كتاب بخمسين ، خمسين و بس ، الحك حصل على كتابك " ، و يتقاطر المارة عليه و هو يفرش كتبه على رصيف الشارع و لا يصدقون بأن هناك كتابا بهذا السعر ... لكن الناس تتجمع حول كتبه و حوله ، مع أبنه الذي يصيح بصوت اعلى من صوت ابيه كأنه في مباراة معه... و جاسم يبيعه في هذا السعر ، حتى انه يقبل ثلاثة كتب بمئة ، يالها من صفقة لبعض من الناس الذين يريدون ان يقرأوا شيئاً و بسعر رخيص ، هنالك الكثير منها عند جاسم ... ويستأنس الجمهور بكتب جاسم ... و هو يستأنس معهم ... و هو استأنس لابأس به في هذا الزمن الفقير ...

و قبالة جاسم ، أجد محمد ، بكتبه و لوحاته الفنية ، يعرضها بشكل جميل و متناسق، حتى انها تكون لوحة جميلة في الطريق ... أحياه و يرد التحية ، هذا كتاب رائع " مدن عربية " بجزئين ضخمين ، و كتاب رائع آخر زخارف مغربية ، و افضل ان أتى في يوم آخر حتى استطيع التحدث معه حول السعر ، و أنا اعرف مثل هذا الكتاب له قراءه و هواته الخاصون و الذي قد لا يأتون في مثل هذا اليوم ... و عندما يفاجأني صباح بلحيته الخفيفة و دمه الخفيف ، وهو يبحث عن عباس العزاوي " تاريخ العراق بين احتلالين " بثمانية مجلدات ، كتاب نادر امتلكه يحاول ان يقنعني بأن ابيعه الكتاب، و كتب عباس العزاوي مطلوبة من قبل القراء لأنها نادرة ، هذا الكتاب و كتاب العشائر العراقية بأجزائه الأربعة، النقود العراقية ، الأدب العربي ، النخيل ... علوم الفلك ... و كثير من الكتب

الآخرى التي اجهد المرحوم العزاوي نفسه في تأليفها و تعتبر من نواذر الكتب المؤلفة او المترجمة في هذا الموضوع ... انها كتب نادرة و ثمينة ، كان لا بد ان يعاد طبعها ، مع كتاب الوردى، والدكتور نوري جعفر صاحب الدراسة النفسية الثمينة و النادرة و الدكتور جواد علي ، و الخليلي ، و كثيرين غيرهم ، و هم قد اصبحوا في طي النسيان بالنسبة إلى الجيل الجديد الذي لا يعرف شيئاً عنهم ... و في خضم هذا التساؤل ألمح من يحمل كتاب الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم ، بأجزائه الاربعة و انا ابحت عنهم وأسرع تجاه الشخص ، قبل ان يستولي عليه شخص غيري ، و أخذ الكتاب منه وبالسعر الذي لا يختلف فيه معه ، و ماذا أجد بعد ذلك ؟ ضالة اخرى ابحت عنها " مباحث عراقية " للأب يوسف يعقوب بأجزائه الثلاثة ، و لقد طبع الجزء الاول منه عام ١٩٤٨ أتلقف هذه المباحث و أسير معهن ، و أنا احمل الغث و النفيس من هذا الشارع الأمين ، و الذي لا يبخل علي بشيء من اثماره و أنا في سيري و بحثي عن مثل هذه المباحث ، و الا ، فما فائدة معرفة هذا الشارع و الناس الذين يعيشون فيه ، ان لم نحصل على ما يغنيننا من هذه الثروات الفكرية التي اخذت تفقد من المكتبات...؟!

احساس بالفرح يثلج الصدر ان تجد من يهتم بالأدب ويحاول ان يقرأه ... وفجأة تسمع صوت بائع السمك عدنان ، يصيح وينادي ويدفع عربته المحملة بالاسماك الكطانية الكبيرة ... انه ايضاً علامة مميزة في الشارع ، فهو يرتدي بزة عسكرية ، و يضع سكينه بجانبه و نياشين على صدره لا تعرف ان كانت صحيحة او مزيفة ، فنحن نحاول ان نتجنب مناقشته ، لكننا نتركه هو و"عربته" وصياحه ، والكثيرون يمزحون معه ، وتتعالى الصيحات من حوله ... يقولون بأنه مجنون ، ويقول البعض الآخر بأنه عاقل أعقل مني ومنك ...!! لكننا نتركه بحاله فإنه لا يؤذي احد ان كان عاقلاً او مجنوناً ...! فهو في الاقل انسان مسالم لا يعتدي على احد ولديه بضاعته السمكية يعرضها على الناس و فجأة تتصاعد نداءات وصيحات شخص " كتاب بخمسائة دينار ، كتاب بمائتان و خمسين دينار ، تفضل ، أسرع للشراء ، هذه فرصة نادرة ...!! "

لأقترّب وأرى ما في جعبة صاحبنا الغريب من بضاعة فكرية علي أجد ما يفيد ... نعم ! هذا كتاب صغير ، يجوز أنه لم ينتبه إليه أضواء على الانتداب لمجيد خدوري مطبوع عام ١٩٣٣ ... أنه كتاب نادر لأسرع وأخطفه وأدفع ما يطلبه ، بكم يا أخي ! بمائتين وخمسين دينارا ... هكذا يقول و أدفع له ما يريد من دون مساومة... وعندما أقترّب من السيد رسول يعرض لي وبشكل لطيف كتاب تحلى بالأحمر "الجمل أو النصرّة في حرب البصرة" للشيخ المفيد المتوفي ٤١٣ هـ والكتاب مطبوع في النجف عام ١٩٦٣ م ... نعم ! في النجف حيث كانت مطابع النجف تنافس بغداد بمطبوعاتها من الكتب الثمينة والمجلات التي تطبع في مطابعها ... مجلات كان لها أكبر الأثر في الحياة الفكرية في البلد: " الغري " للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، " البيان " للسيد علي الخاقاني ، وغيرها الكثير والكثير ، ونحن نتذكرها في غفلة من الزمن في هذا الصباح الجميل ... وأخذ الكتاب من السيد رسول بعد مساومة بسيطة معه على السعر ...!! ان المرء ليخجل عندما يساوم على سعر كتاب قيم ، فالكتاب لا مساومة عليه ... لكن مثل هذه الكتب يجب اقتناؤها ... وأخذ كتابي وأمضي في الطريق ... فهذه الجمعة ثمينة ويمكن ان تكون حصيلتها أثنى .

أمضي في سيري قدما في البحث والنظر ... وفجأة ينادي عليّ صاحبي د.صباح ، والذي اعتاد ، ولا يمكن له ان يتخلف في هذا اليوم عن القدوم إلى المتنبّي حتى ولو كان لديه



المؤلف يتوسط
الفنان شكر
والدكتور صباح.

مشاغله ، فهو يقتطف بعضا من الوقت لكي يرى الجديد في المتنبي ... ويحمل بعض الكتب و مسبحته التي لا تفارقه في هذا الصباح ، ومعها ابتسامته و ضحكته التي يستقبل بها كل من يلاقيه ... نتفق على الاستراحة قليلا في مقهى الشاهبندر وهذا هو المقهى العريق والوحيد الباقي في الشارع وما يزال يحاول الحفاظ على مكانته وزبائنه ، نجلس ، ونطلب الشاي والحامض ونتبادل المعرفة بموجوداتنا ... ونحن في حاجة إلى هذه الراحة ، فبعد تجوال تجاوز الساعتين ، يحتاج المرء إلى البعض من الاستراحة ، وقبل ان نبدأ ومرة أخرى من جديد ... ومع سوق السراي ... سوق الوراقين ، كما كان يسمى في غابر الزمان ، وحيث كانت البداية هنا ، ومن هنا ابتدأت حياة المكتبيين والوراقين ... لكن ما الذي تبقى منهم في هذا السوق ...؟ وقبل ان ندخله ، لا بد ان ننظر إلى الكشك المنتصب عند تلاقي شارع المتنبي بسوق السراي وهو العلامة القانونية الوحيدة في الطريق ، انها مكتبه "ساهي" القانونية ، حيث يجد كل من يبحث عن كتب القانون بغيته هنا ، وهو من القلة ، ان لم يكن الوحيد الذي ابقى اختصاصه واهتماماته بكتب القانون ، وبعد ان كانت كتب القانون تأخذ مكانها بين الوراقين ، حيث كان يفخر صاحب الكتب ان يعرض بين كتبه " كتب السنهوري باشا ومنير القاضي " ومنذ ان كنا صغارا ونحن نسمع في البيت من آباءنا واخواننا

صورة في العام ١٩٩٨
تجمع المرحوم خليل
ابراهيم - صاحب
موسوعة ١٤ تموز
والمرحوم ساهي-
صاحب مكتبة ساهي
القانونية والذي اغتيل
خارج بيته في حي
العدل ٢٠٠٦، والدكتور
علاء حربي الذي
اختطف أوائل ٢٠٠٧ ولم
يعرف عنه شيء.



الكبار اسم السنهوري باشا وهو العلامة والفقية في القوانين واتى إلى بغداد للتدريس لفترة في كلية الحقوق وترك اثره في ذلك الرعيل الاول من خريجي كلية الحقوق والذين اصبحوا فيما بعد اعمدة القضاء العراقي ... اما المرحوم منير القاضي فلقد اوقف داره للدارسين ، وهي دار شامخة على نهر دجلة مفتوحة لكل من يطلب علوم القانون ... هكذا كان الاثر الذي يتركه اولئك الرواد الجهابذة من الفقهاء والعلماء في أجيال من تلامذتهم وتبقى ذكراهم عالقة في الازهان دوماً ...

أمضي في طريقي لأدخل سوق السراي ، سوق المكتبات لكن ماذا تبقى فيه من مكتبات ...؟ لقد اختفت ، وزالت الكتب ، حل محلها الدولار ، القرطاسية ، وحل في السوق اناس آخرون لا علاقة لهم بالكتاب ، لم تبقى الا مكتبة الفللي واولاده ، او لنقل ، بقايا مكتبة الفللي !! ففي كل يوم تذهب جبهة وأمتار فيها ، في الداخل ! تلال من الكتب ويختفي بينها ابو ياسر احد ابناء الفللي الذي يحاول ان يحافظ على وجود المكتبة في السوق ... أعرج عليها واحيي ابا ياسر الذي يجلس في مدخلها ... هل هناك من جديد ، يا ابا ياسر ؟ تفضل هناك البعض من الكتب التي تهملك ! أدخل وأجلس في زاوية وعيني على الرفوف والكتب المصفوفة عليها بغير نظام مخافة ان يسقط بعضاً منها علي ... لكن ابا ياسر يطمئنني أتفحص الكتب التي تخص تاريخ العراق القديم ، وأختار بعضاً منها ، وأمضي إلى نهاية السوق حيث هناك في احد المداخل للأسواق الداخلية مكتبة ابو عساف الصغيرة لكنها غنية بموجوداتها ، وهي قد فتحت مؤخراً في هذا المكان ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الدكتور جواد علي موجود على الرف ، وأتساءل مع نفسي ، ومع ابو عساف ، عن هذا السفر ، وأصل إلى اتفاق معه ... ليكن من مقتنيات هذا الصباح الجميل معي ... أسير بعدها إلى نهاية السوق وأخرج منه إلى بداية جسر الشهداء حيث هناك الباعة الذين يفترون الارض بمختلف انواع الكتب ، لكنهم يختلفون نوعياً عن باعة المتنبي ... فباعة المتنبي مختصون اكثر ويعرفون اكثر ... لكني اريد ان ارى هذه الصورة المتنقلة من مكان إلى آخر ... أقضي بعضاً من الوقت مع هذا البائع وذاك ، أعود بعدها أدراجي

إلى المتنبي في لمسات اخيرة لهذا الصباح ، وحيث أبحث عن صاحبي ابا رزين ، والذي أصبح يتخلف عن الحضور ايام الجمع.

بعد ان اتحف مكتبته بنفائس الكتب ، وأصبح لا يجد بغيته في الشارع ، لكنه قال بأنه سيأتي ...

انقل الخطو مع صاحبي الدكتور صباح نفتش في الوجوه ، نفتش الارض بحثا عن كتاب افتقدناه .

لقد كان صباحا مثمراً ، حملت من خلاله كتباً كنت ابحث عنها ولاقيت وجوها احب ان الاقيها في مثل هذا النهار الجميل ... وجوه ونفوس تتحفك بالطيب من الأدب والجميل من الفكر ، وبهناءة في القلب على هذه الملاقاة ، وعلى هذا التناول ، وهذا التباين الحي لرجال يسرون على خطى المتنبي في هذا الزمان ، اسير وأنا اردد مع نفسي ... أهمهم ...!

كتبي ...! كتبي ...! أيه يا كتبي ...!

وآه يا كتابي ...!

وآه والفاء آه ... عليك

يا شارع المتنبي ويا ساكني

المتنبي ...

وآه عليك يا شاعري المتنبي ...!

رثاء في حضرة المتنبي ...

دعني ارثيك ايها الشارع

الحزين

أتذكر أيامك

كل تلك السنين

ايام الصبا ،

حيث كان الكتاب

في متناول اليدين...

وللكلمة صدى ورنين ،

دعني أتذكرك

يا متنبي الدهر الأمين

أنظر لطودك المتين ،

حيث تمتشق حسامك
والهامة مرفوعة الجبين
في الصحارى
انت فارس القرنين ...
دعني اسمع صداك
وهو يعود
ليصم الاذنين
فارس ثاقب البصر
مفتح العينين
اين اجد صورتك
في شارع المتنبي
الحزين ...!!
اين اجدك
يا متنبى الزمنين !!

ناح اصالح



الشاعر جاسم زبون الشويلي
مهدة إلى صاحب مكتبة الشطري
وصاحب مزاد الكتب في الجمعة

ناح اصالح ناح ابيع
امصالحك يا ابو ربيع
امصالحك لأجل الثقافة
و للعلم مامش كلفة
وطبعك فنون و ظرافة
وصوتك الیصدح ببيع

امصالحك يا ابو ربيع

امصالحك وادخل متزادك
والمحب ينشر ودادك
صدك اعزب بعادك
والكرب منك ربيع

امصالحك يا ابو ربيع

امصالحك والجمعة تشهد
بالنزد السعر يخذ
مه الصبح للظهر يمد
بالحرارة وبالصقيح

امصالحك يا ابو ربيع

امصالحك لاجه ظروفي
امشابهه وتصفر جفوفي
ولو ردت تمطر حروفي
لاجه الخالق سميع

امصالحك يا ابو ربيع

يا شارع المتنبى

جِوار عَيْنِي وَقَلْبِي
 مِنَ اللَّائِي دَرَبِي
 الْحَرْفُ مَائِي وَخَبِي
 بِنُورِهِ غَيْرِ رَبِّي

يَا شَارِعَ الْمُتَنبِي
 كَفَى خُطَايَ فَخَاراً
 يَا طَائِراً خَلْفَ سَرِي
 وَمَا أَطَارَهُ زَاراً



رَضَعْتُ فِي الْمَهْدِ حُبِّي
 طَرَكِي تَكُونُ بِقَرْبِي
 جَاشَتْ بِأَعْمَاقِ غَيْبِ
 مِنْهُ نَوَاطِرُ شَهْبِ
 مِنْ كُلِّ شَرْقٍ وَغَرْبِ
 لَهُ بِأَعْمَاقِ كِتَابِ
 قَضَى بِعَشْقِكَ نَحْبِي

يَا شَارِعَ الْمُتَنبِي
 عَلَى جَنَاحِي سَمَاءِ
 أَنَا قَصِيدَةُ شَعْرِ
 يَا بَاهِراً بِيضَاءِ
 جَمَعْتُ دُرّاً نَفِيساً
 أَغْوَصَ لِلدَّرِّ ، بَيْتِ
 أَقُولُ إِنَّ مَتِّ فِيهَا



مَاذَا عَنِ الصَّحْبِ أَنْبِي
 أَمَا كَرِيمٍ بِجَنبِي
 رَأَيْتُ أَعْدَبَ عَذْبِ
 يَا بَارَكَ اللَّهُ صَحْبِي
 حَسْبِي جَوَارِكُ حَسْبِي

يَا شَارِعَ الْمُتَنبِي
 فَخَالِدٌ عَنِ شِمَالِي
 وَإِنْ نَظَرْتُ أَمَامِي
 مِنْ كُلِّ خَلٍّ عَزِيزِ
 قَلْبٌ يَبْـُـوُحُ لِقَلْبِ

وطالب حين يدعو
فربما سافر تبر
أحييت خيام عجم
والفهد يانفس لبي
يُشري بقيمة ترب
بالفن خيام عرب



وإن أتتني ظباء
أقل ما في صباها
كانت هي الروح خصباً
وكان أخضر يندى
أقول للروح هبي
يُصمي فؤادي ويصبي
فالآن من دون خصب
فيها ، فأيبس عُشبي



ورب جيب كقفر
يكاد يسقي وروداً
قد سلمت كف حقب
قحطان حل كتاب
بشوارع المتنبي
خال من الماء جدب
مفروشة ماء هذب
سيفراً إلى أكف حقب
في ألف سهل ورحب

الشاعر: عبد الحسين المطلبي



الشاعر عبد الحسين المطلبي يتأمل الحضور في الشارع

- (١) خالد : هو ابو جمال خالد العزاوي احد باعة الكتب في الشارع .
- (٢) الكريم : هو كريم حسين اللقب بكريم فلسفة ، يبيع الكتب في الشارع .
- (٣) طالب العزاوي ، وفهد من باعة الكتب ، وهما من اصدقاء الشاعر ، وقد ولع فهد برسم الخيام ، ورسم له لوحات جميلة .
- (٤) خيام عرب ، خيام : منادى حذفته منه ياء النداء ، التقدير : يا خيام غرب .
- (٥) يصمي : أصمى اليد : رماه فقتله .

المرحوم قاسم الرجب ، صاحب مكتبة المثني .. ذكريات عن سوق السراي و شارع المتنبي ..

إن الغرض من إعادة هذه الكتابات، وبعدها يقرب من نصف قرن من الزمان قد مضى عليها، يشكل اهمية خاصة في دراسة ومعرفة عالم الكتب في سوق السراي وشارع المتنبي، ولأننا نريد أن نعرف ونوثق المراحل التي مرت على الشارع عبر هذه العقود من السنين... ففي كل مرحلة هناك رجال، وهناك أفكار وتطورات توعية خاصة في الحياة.. ونحن في حياتنا هذه، وفي ايامنا هذه بالأخص، أحوج مانكون لتثبيت وتوثيق مثل هذه المراحل، وبالأخص عندما تكون وتأتي عن لسان الناس الذين عاشوها وخبروها وتفاعلوا معها بكل حس وواقعية عملية...

والمرحوم قاسم الرجب هو واحد من أكثر الشخصيات التي عملت وتركت أثرها في عالم الكتب وشارع المتنبي ، حتى اصبحت مكتبة المثني في شارع المتنبي واحدة من المع المكتبات في الوطن العربي وملتقى لرجال الفكر والمعرفة ، ومجلته التي كان يصدرها " الكلمة " بقيت تصدر لسنين طويلة وتشارك فيها خيرة الأعلام العراقية والعربية حتى اصبحت منبراً ادبياً نجد فيها ما تصبو اليه النفس من روائع الكلام وهي تجسد بحق أحسن وثيقة عن الحياة في سوق السراي وشارع المتنبي ... لذلك وجدت فيها وفي المذكرات التي كتبها عن سوق السراي ، والتي توالى في اعداد عديدة منها ، أنها تعيد للذاكرة جزءاً من هذا التراث وهذه الحياة الفكرية في بغداد ، وها أنا أقدم بعضاً منها مستله من بعض اعداد المجلة لكي تبقى هذه الحياة حية في الذاكرة، وليعرف ابناء الجيل الجديد اولئك الرجال الذين افنوا حياتهم من أجل الكتاب، وكيف كافحوا منذ نعومة اظفارهم ومن الصفر في بناء حياتهم. وبناء صروح مكتبية وفكرية في هذا البلد... وأحترقت أو أحرقت مكتبة المثني في يوم الجمعة ٢٠/٨/١٩٩٩ وكانت اكبر خسارة مكتبية في البلد ان لم يكن في العالم العربي.

مذكرات في سوق السراي

بقلم : قاسم محمد الرجب
صاحب مكتبة المثني



يقول الرحالة نيبور الذي زار العراق في القرن الثامن عشر : (انك اذا كنت تريد كتاباً من بغداد ولم تجده فأنتظر حتى يتوفى احدهم فعندئذ ستباع كتب المتوفى في اليوم التالي فتجد الكتاب الذي تريده) وقد صدق نيبور فالكتاب في بغداد لايزال من الاشياء الكمالية التي يستغنى عنها أو تباع في حال وفاة مقتنيها وان البغدادي اذا افلس باع مكتبته وكذلك اذا تزوج أو اراد شراء دار له أو اية حاجة اخرى، فأول مايفكر

به هو بيعه مكتبته او ما عنده من كتب . كما وان الحكومة التي تعلن سياسة التقشف والاقتصاد فأول ما تلتفت اليه هو ايقاف شراء الكتب او تجليدها . و هنالك الكثير من الناس ممن باعوا مكتباتهم مراراً - وهم احياء - أذكر منهم على سبيل المثال روفائيل بطي و ابراهيم صالح شكر ومحمود النقيب الكيلاني وناظم الغزالي و نعمان ثابت وغيرهم . وقد كان نعمان الأعظمي اذا اشترى كتابا من المزاد أو من بعض الناس ، فإنه لا يعرضه للبيع الا بعد مدة والسبب في ذلك فيما كان يرى ، ان ثمنه يبقى عالقاً بأذهان بعض الناس فيقوم احدهم ويطلب اقتناؤه منه بمثل ما اشتراه ، فيفوته الربح المنتظر .

وأغلب ما كان يباع من كتب في تلك الايام هي الموالد النبوية والمصاحف الشريفة، ومقامات الحريري ، و القصص الشعبية بأختلافها وكتب التسلية وكان اهمها كناس الشوارع تأليف ميخائيل تيسى ونوادر ابي نواس و نوادر جحا . وكان المصحف الهاشمي المطبوع بدمشق هو الطبعة المفضلة . وأما الموالد فأول المولد البكري والبرزنجي يباعان في

بغداد ويعتنى بعرضها وبيعها الملا جرجيس والنعمة الكبرى لأبن حجر يباع في الموصل واطرافها . أما الكتب الشائعة في المنطقة الكردية فكانت لا تتعدى الفقه الشافعي واصوله و كلستان سعدى وديوان حافظ الشيرازي وبندينامه عطار وتفسير الحسيني وكان سوق الكتب يعتمد كثيرا على ايران فكانت المصاحف المستوردة من مصر تشحن بأجمعها إلى ايران إذ لم تكن ايران قد بدأت بطبع المصاحف والكتب القيمة وما زالت ايران حتى يومنا هذا تستورد الكثير من الكتب و المصاحف.. ان ايران تستورد ما يصلنا من نفائس الكتب بمعدل ٧٠٪ ويدخل في ذلك المصادر القيمة الباحثة في التاريخ واللغة والدين والادب ولعل في طليعة الكتب العربية الرائجة في ايران دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ، وتفسير الشيخ طنطاوي ، الجوهري ، والمنجد وأقرب الموارد ، وتعتمد اسواق الكتب في بغداد ايضا على الهند و باكستان فالهندي حينما يصل إلى بغداد يتساءل عن المنجد واقرب الموارد ومؤلفات الشيخ عبد القادر الكيلاني ومناقبه اما الكردي فلا يشتري كتابا ما لم يكن ورقه اصفر من النوع النباتي فاذا قدم له كتاب طبع على ورق ابيض فقد يتحرج ويتركه في شراؤه فاذا لم تتوفر الكتب المطبوعة على الورق النباتي فإنه يعتمد على شراء شيء من الزعفران يصبغ به صفحات الكتاب كافة . والناس اذواق...

ويعد العراق أحسن سوق لبيع الكتب وأعظمها اذا ما قيس بسائر الاقطار العربية الاخرى ولعل مرجع ذلك صراع المبادئ والمذاهب والعقائد . ولا تقتصر سوى الكتب في العراق على بيع المطبوعات إلى العراقيين ، بل يتعدى الامر إلى تصدير الكتب الكثيرة إلى تركيا وايران والهند بل إلى اوربا واميركا . فالكتاب العربي الذي يطبع في اي بلد كان فإن اسواق العراق تستهلك ٧٠٪ مما طبع منه وكذلك المجالات . كانت الكتب القانونية والاقتصادية اقل الكتب التي تستورد وذلك لعدم تطبيق القانون المدني في السابق اذ كانت المحاكم تطبق احكام المجلس فلما حل القانون المدني محلها

أخذ العراق يستورد كميات هائلة من كتب القانون والاقتصاد على اختلافها وأول من باعها المكتبة الأهلية وأكثر ما انتشر من هذه الكتب شروح القانون المدني للسنيهوري والموسوعة الجنائية لجندي عبد الملك وكتاب في المسؤولية الجنائية .

وكانت الكتب القانونية غير معروفة فكان بيعها وشراؤها محدوداً إذ لم يثقف المحامي والحاكم في العراق إلا بقسط قليل فقد كان حسبه ان يعرف كيف يقيم الدعوى ويكتب بعض الصكوك الجزائية والحقوقية وبعض المتون . وأول من رأته يشتري كتباً من هذا القبيل حاكم صغير السن لم يكن يتجاوز عمره الخامسة والعشرين يومذاك وهو علي مظفر حافظ . فأشترى كل ما وجدته في الاسواق من هذه الكتب وبدأ سوق الكتب ينشط فظهر بعده كثير من الزبائن امثال ناظم حميد وحسين جميل وعبد الرحمن العلام وعبد الكريم جواد وعبد الرحيم الراوي وضياء شيت خطاب وحسن علي الذنون وطارق عبد الحافظ وغيره .

أما الروايات وكانت تغمر السوق كله فقد صدر منها سلاسل مطولة امثال روايات تاريخ الاسلام لجرجي زيدان وطرزان وملتن توب وجونسون وحافظ نجيب وبعد ذلك صدرت مسامرات الشعب التي اشترك فيها المازني وغيره . وكتب المنفلوطي وكتاب صقر قريش لمعروف الارناؤوط والام فترت ورفائيل للزيات وصدرت كذلك روايات شوقي التمثيلية مصرع كلوباتره ومجنون ليلى وقمبيز وعنترة.

أما الكتب الجنسية فكانت اقل الكتب انتشاراً فلم يكن هناك الا كتب قليلة جداً ، وهي: اسرار الحياة الزوجية لماري ستوبس ورجوع الشيخ إلى صباه وهذا الاخير كان تداوله ممنوعاً واغلب طبعته سقيمة ويباع سرا بأسعار عالية. ثم اخذت ترد من لبنان مجلة الصحافي التائه وما تنشر للرياشي مؤلف (عصابات الغرام) و (اهل الغرام) ولم يكن من الكتب التاريخية وتاريخ الادب الحديث الا مؤلفات الشيخ محمد الخضري في سيرة الرسول والدولة الاموية والعباسية حتى ظهر فجر الاسلام لأحمد أمين فأحدث ضجة لما حواه من

معلومات ودقه في البحث والتعبير والاسلوب . وتاريخ التمدن الاسلامي . وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، كما ظهرت من القصص التاريخية على هامش السيرة وقبلها الجزء الاول من (الايام) لطله حسين كما ظهر بعدها كتاب حياة محمد للدكتور هيكل .

وصدرت بعض الكتب فأحدثت دويماً ومع انها لا أهمية لها ولكن فئات من الشعب قامت بمظاهرات من اجلها اذكر منها الدولة الاموية في الشام لذكريا النصولي وكتاب العروبة في الميزان تأليف عبد الرزاق الحصان .

والكتب السياسية كانت قليلة جداً فلم يعرف منها سوى مقالات فهمي المدرس بجزأين وعلى طريق الهند تأليف عبد الفتاح ابراهيم . ومن لبنان النفط مستعبد الشعوب ليوسف يزبك والقضية العربية لأحمد عزة الأعظمي والكتب الشيوعية والأشتركية كانت ممنوعة وغير معروفة وكان أهم ما يصل للعراق منها مجلة الطليعة وما تصدره من نشرات واول من باعها في بغداد هو السيد فاضل عباس بالأضافة إلى ما يبيعه من الكتب والخردوات ولا سوق لها الا للقلائل من الارمن واليهود حتى حلت سنة ١٩٣٦-١٩٣٧ ايام انقلاب بكر صدقي فظهرت بعض الرسائل ووصلت من الخارج بعض الكتب وصرنا نراها .

و سافر محمود حلمي إلى مصر ايام الحرب العالمية الثانية وأقتنى بعض المكتبات الخاصة ومنها مكتبة محمود تيمور ، فلما وصلت كتبها إلى بغداد دعاني شريكه وطلب الي فرز الاجزاء وتسعير الكتب ، وكان يدفع لي مبلغاً محترماً ، ولايزال محمود لم ينل شيئاً من المعرفة بالكتب مع ان له من حسن المعاملة ما لا يجاريه احد لاسيما في تسديد الديون فإنه مثال الأستقامة ، ومن المؤسف ان ظروفنا فاسية انتابته مؤخراً فأدت به إلى انتكاسة مالية ادت إلى رفع اسمه من لوحة المكتبة التي خدمها خمساً واربعين سنة على الاقل ، وله نوادر كثيرة في المكتبة نعرض عن ذكرها الآن .

وسبق ان اشرت إلى ان اكثر اصحاب المكتبات لاتجد بينهم من يفهم الكتب سوى

حسن الفلظي فهو متوقد الذكاء ، كثير الوسواس ، ومن الأدلة على ذلك انه لا يسمح لأحد بدخول مكتبته مهما كانت منزلته وصادقته معه بل لا يسمح بدخولها حتى لأولاده ولذا تراه دائماً واقفاً بباب المكتبة مكدساً كثيراً من الكتب المدرسية المستعملة لتكون حائلاً دون الدخول لمن يريد ذلك ، وحتى لو ذهب لقضاء حاجة او عمل فإنه يغلق المكتبة ولو كان هناك في بابها عشرات من الاصدقاء فإنه لا يثق بأقرب الناس اليه او حتى بنفسه ، وتلاحظ وانت مار به اصدقاءه وقد تكدسوا امام المكتبة فلا يدعو احد للجلوس لا في الداخل ولا في الخارج وهو لا يشتري كتاباً من مكتبة ولا يعامل او يكلم صاحب اي مكتبة بل تراه طيلة النهار يمزح مع المارة ويردد بعض الاشعار ومقاطع من مقتل الحسين عليه السلام وبعض الخطب والامثال دون مناسبة . وهناك كتبي آخر اسمه احمد كاظمية ومكتبته تحتوي على كل ظريف، فهناك الكتب المدرسية القديمة والمجلات المتفرقة والرسائل النادرة ، فاذا ما وقفت امامه اول من يطلب منك سيكارة فقد تعلم التدخين بهذه الطريقة ولا نعهده انه اشترى يوماً ما شيئاً من السكاير ، واذا اصطاد صفقة من كتب ورأها لاتناسب مقام مكتبته خرج بها إلى وسط السوق ونادى عليها بالمزاد ، واذا ما رأى انها ربحت باعها بسرعة فأذا لم تأت برأس المال اعادها إلى صاحبها وصاح هرج شايف الخير احمد كاظمية ، وتجده طيلة النهار يضع امامه دفترًا ممزقاً يسجل فيه ارباحه بانتظام اما اذا اخترت منه شيئاً وطلبت منه ان ينتظرك ساعة او دقيقة لعدم توفر المبلغ بجيبك ولو كان درهما فإنه لن يدعك تأخذ الكتاب حتى تدفع له المبلغ ، فهو لا يعامل احداً بالدين ابداً ، ويلعلع صوته فلا يسكت طيلة النهار ، واذا سألته عن كتاب لا يجده عنده يقول لك : من هالمعروضات، والحقيقة انك تجد لديه كل ظريف كما يقول المثل الشائع : (قد يوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسفاط) . وكان احد اصحاب المكتبات هو السيد رشيد يجب التظاهر بكل شيء فإذا مرت شخصية من السوق رافقها إلى أن يوصلها إلى آخر السوق ، وان لاحت راقصة استقبلها من اول السوق ومضى يلاحقها إلى آخره ثم يعود منتفخاً يضحك ليعرفن انه يعرفها او صادقها ، ولي معه دعابات كثيرة اذكر هنا احدهما .

كانت مجلة النفير قد نشرت على الغلاف صورة الراقصة انطوانيت اسكندر وقد حدثني عنها مرارا وعرف اهل السوق بعلاقته بها وبأخبارها فأتصلت به تلفونياً وقلت له: ان المتكلم هو فندق بابل إذ كانت الراقصة تسكن فيه حينذاك و طلبت منه ان يشتري من ذلك العدد كمية لاتقل عن خمسين نسخة ويجلبها إلى الفندق بنفسه ، وكان الجو ممطراً فراح إلى الباعة وجمع ما امكنه جمعه من تلك المجلة وذهب بالمجلات إلى تلك الراقصة فلما رأتها انكرت انها طلبت ذلك فرجع ورمى الاعداد في الاحوال وهو يسب ويلعن من أوقعه في تلك الورطة . ولجلدي الكتب صلة كبيرة بالكتاب وأصحاب المكتبات ، وهؤلاء كذلك لم تتقدم مهنتهم فنيا ولا مادياً بالرغم من ان بعضهم مضى عليه وهو يمارس هذا الفن سنوات طويلة وعدم تقدمها هذا يرجع إلى قلة المطبوعات وإلى ان عملهم محدود جداً ، وكان احسن المجلدين محمد صالح الأعظمي الا انه ترك التجليد منذ مدة والتجأ إلى الطباعة وتجارة الورق وصنع الدفاتر والمفكرات ، ولولا ذلك لبقى كغيره امثال اسماعيل الشبخلي ومحمد أمين ومن اصدقاء السوق وزبائنه الذي كان لا ينقطع يوماً عن التردد إلى المكتبات الشيخ جواد الدجيلي المحامي وكان لا يشتري كتاباً الا اذا كان مطبوعاً في بولاق فهو يفضل على غيره حتى ولو فاقه تحقيقاً وحسن اخراج وكان يساوم حتى يعرق الجبين، وربما لجوجاً في طلبه الكتب ، فأذا اشترى يطول الكلام على السعر شهراً او اكثر حتى يعجزك فتضطر إلى بيعه ، وبعد كل هذا فإنه سوف يقرأ لك نبذاً من المقامات مبتدئاً بأذا خيرت بين درة مفقودة ودرة منقودة فمل إلى النقد اي انه سوف يدفع اليك نقداً فلا يشتري بالنسيئة وقد مر عليه وقت طويل وهو يلحف في طلب المجلد الثاني من كتاب الجمل لأبن فارس الذي لم يكن قد طبع وعبثاً تقنعه ان هذا لم يطبع فهو لا ينقطع عن السؤال عنه ، وأذكر انه ضايقني في طلبه فأخذت نسخة من المجلد الأول وطمست لفضة (الأول) وكتبت بدلها (الثاني) تخلصاً من الحاحه ، فلما عاد من الحكمة ذات مرة وسأل كعادته عن الكتاب بعنا له ذلك المجلد ، الا انه بعد أربعة ايام أحس بالامر فعاد بالكتاب فأرجعناه بعد مزاح طويل. وبآخر السوق الذي يحاذيه شارع الأكمخانة (شارع المتنبي) اليوم كانت تقوم دكاكين المجلدين كما كانت به المكتبة الانجيلية لبيع الكتب التبشيرية

ويديرها الياس خدوري عناية المبشر المعروف وكنت ارى كثيراً من الشباب المسلم ممن يحب الجدل قابعين داخل المكتبة وقد دخلوا في معركة كلامية مع المبشر بالرغم من انك تجده قد علق على الجدران الواحا تشير إلى ان الجدل والتطرق إلى الامور السياسية ممنوعاً، وكل من يدخل هذه المكتبة لابد وان يقرأ قبل الدخول بعض الردود على المبشرين امثال اظهار الحق لرحمة الله الهندي او الرحلة المدرسية وكتاب الانجيل والصليب وغير ذلك مما يتعلق بهذه المواضيع ، ويتأسر الجلسات هذه لجلال الحنفي وقد كان محرراً بمجلة الهداية الاسلامية التي كانت تحمل راية الرد على المبشرين والتي تنشر دوماً اقاويل المبشر زويمر والرد عليه والغارة على العالم الاسلامي وغير ذلك ، وكان مخزن نعمان الأعظمي يقابل هذه المكتبة وكنت كثيراً ما اتردد على هذا المخزن لتنظيمه ونقل ما تحتاج المكتبة اليه ، فأختبىء فيه وارمي زجاج المكتبة الانجيلية بالحجارة فأحطمه كله ، وقد تكرر هذا العمل مني حتى يئسوا من المحافظة على واجهتها فأخذ يحرسها بعض الشرطة ولكن عبثاً كان ذلك ولم ينقذهم من هذه الكارثة الا انتقالهم من هذا الشارع إلى شارع الرشيد ، وفي وسط سوق السراي مقهى يؤمه الناس ، يعرف بمقهى قاسم ، ولابد من وقوع الشجار يومياً في هذا المقهى فيصل إلى الضرب بالكراسي واشهار الخناجر و المسدسات ، والسبب هو ان اكثر مرتاديه خصوم كانوا قد خرجوا من المحكمة او شهود ينتظرون ولم يكونوا قد ادوا المطلوب من الشهادة ، وكان امام المقهى مباشرة شخص نبيل اسمه (ابراهيم السديري) وهو يشبه شاهبندر التجار في العصور الاسلامية لما يمتاز به من حسن المعاملة و الاخلاق فتراه دائماً يسأل عن اهل السوق ويتفقدهم واحداً واحداً فأن رأى احد قد غلق دكانه ذهب يستفسر عن سبب ذلك ، وان كان لأحد أمانة وضعها لديه ، ومن اراد الزواج واراد ان يخطب ذهب معه ، وان احتجت إلى شيء هياًه لك او اقرضك ما يكفيك ، وان توفي احدهم ذهب تواءً إلى المأتم ليكمل جهاز المتوفى واذا نشب خلاف فهو الحكم بين الطرفين ، وأين ما سكن تراه يصل إلى بغداد في الصباح الباكر ماراً قبل ان يصل إلى محله بسوق الهرج دون انقطاع للتفرج فقط دون ان يشتري شيئاً ، وهو محبوب بين اهل السوق كافة ، وبجانبه شخص

آخر لا يقل عنه طيبة وأهمية يدعى محمود قالبجي وهو معروف بما يقوم به من جميل الفعال فأذا تشاجر اثنان في السوق سارع ليفض النزاع بينهما حتى ولو كان ذلك بكلفة نفسه .

ان الكتب المدرسية قبل ان تتبنى وزارة المعارف طبعتها وتوزيعها كانت تطبع من قبل اصحاب المكتبات الذين كانوا يقومون ببيعها واستغلالها ، واكبر من اهتم بطبعتها والاتجار بها هما : الياهو عزرا دنكور صاحب المطبعة الحديثة وتاجر السوق على اختلاف انواعه وعبودي عزرا منشى الذي جاء متأخراً وكان يوصف بحسن المعاملة ، وكان اصحاب سائر المكتبات يأخذون الكتب منهما كمحمود حلمي ونعمان الأعظمي وعبد الكري خضر وأمين زاهد . وهناك الكثير من المؤلفين الذين كانوا لا يهتمون بأشراك اصحاب المكتبات والمطابع معهم لأهمية مؤلفاتهم ولنفوذهم في وزارة المعارف فكانوا يطبعون كتبهم على حسابهم ويتولون توزيعها بأنفسهم على مخازن المعارف والمكتبات والمدارس ، ومن هؤلاء المؤلفين : محمد بهجت الأثرى ومحمد علي مصطفى وتحسين ابراهيم وطه الهاشمي .

وكان بيع الكتب المدرسية واحتكارها والتلاعب بأسعارها وفرض اثمانها العالية يدر ارباحاً طائلة على المؤلفين والناشرين ، فكان السوق ينتعش في الموسم المدرسي ، فأذا كان لصاحب مكتبة مشروع يبغي تنفيذه ، او كان عليه دين يريد تسديده ، فما عليه الا ان ينتظر الموسم هذا ، وقد اشتهر منهم امين زاهد الذي اكثر من يبيع الكتب بالفرد فهو يصرف نصف كمية الكتب ويلييه في هذا الشأن محمود حلمي الذي كان يهتم ببيع الجملة بعد ان يجمع اكثر الكتب المقررة لديه بهمة شريكه اسحق معلم نسيم وكانت القرطاسية تباع جنباً إلى جنب مع الكتب ، وكان بعض اليهود هم المسيطرين على ذلك ، فترى مثلاً ساسون بقال يجهز كل اصحاب المكتبات بأنواع القرطاسية المدرسية ويأتيهم كل اسبوع فيستحصل منهم ما في وسعهم ان يدفعوه له من مال ، وكان يرضى بالقليل فقد كان متساهلاً اميناً في معاملته ومازال مقيماً في العراق لم يغادره وكان الطلاب يبيعون كتبهم

او يستبدلونها لدى اهل المكتبات الذين اختص بعضهم ببيع وشراء الكتب المستعملة ، فلما كثر مثل هذا اصبح معظم الطلاب يقفون في السوق فيزدحم السوق بهم من اوله إلى آخره فيتبادلون الكتب فيما بينهم ويتبايعون دون اللجوء إلى المكتبات وكان اكثر من يشتري الكتب المستعملة هم من اليهود ، فأن احدهم لم يكن قط يشتري كتاباً جديداً مهما كان غنياً ، فيسأل هكذا (عندك كتاب ملبوس) ؟ عندك كتاب مستعمل ؟ عندك كتاب علنص ؟ اما طلاب المدارس الابتدائية عامة ولا سيما البنات منهم فلم يقبلوا على الكتاب المستعمل مهما بلغ بهم الفقر. كان اخي جاسم يساعدنا في المكتبة اثناء الموسم المدرسي ، وفي خلال ذلك كان يأتي بكتبه إلى السوق ليستبدلها او يبيعها كباقي الطلاب ، فأذا ما باعها بتوسط مكتبة نعمان يطالبه بعمولة قدرها ١٠٪ بعد السماح مع ان قيمة ما يبيعه لا يزيد في جملته عن ٢٥٠ فلساً .

وإلى جانب مكتبة نعمان كان بعضهم ينشر كتبه ومع شدة فقرهم كان نعمان يتقاضى منهم ايجاراً يقارب نصف ايجار مكتبته ، واذا صادف هؤلاء ركود في البيع فإنه لم يكن يتنازل عن المطالبة بالأجر مهما تكن الحال .

كانت سوق المكتبات محطاً لكثير من العلماء والادباء والساسة ، فكان بعضهم يختص بمكتبة يجلس فيها دون غيرها في الغالب ، فعلى مكتبة نعمان كان يتردد محمد سعيد الجركجي (محمد سعيد الحاج خلف) يرتدي الجزية واليشماغ احياناً مع الصاية والعباءة وهو مداوم لا ينقطع يطالع كتب الحديث والفقهِ وتراجم الرجال في الجرح والتعديل ومصطلح الحديث وكتب الخلاف والجدل وغير ذلك ، وبالرغم من كثرة ما يطالعه وما يقتنيه من كتب ، لا أظنه قد جنى شيئاً من مطالعته بل لم يكن يحسن قراءة سطر واحد على الوجه الصحيح وكان مع كل هذا يعتبر مستشاراً لنعمان ، فهو الذي يشتري له العقار وهو الذي يشرف على نوع البناء وغير ذلك ، فقد كان اميناً وطيباً .

ويذكرني هذا بكثير ممن رأيتهم من هذا القبيل وأشهرهم رضا النقاش أو رضا

الاعرج كما يعرف بيننا ، فهذا لا يدع كتابا الا اقتناه لا سيما الكتب الحديثة وبوجه خاص ما يبحث منها في الشؤون الجنسية ، ومن شدة اهتمامه بالكتب وحرصه على اقتنائها فإنه يمر يومياً بالمكتبات كافة كبيرها وصغيرها ، وحتى باعة الصحف في الاكشاك لم ينجوا من سؤاله عن الكتب ، واذا بلغه ان ارسالية ستصل إلى واحد منهم فإنه لا يذهب في ذلك اليوم إلى بيته بل يبقى ملازماً له ولو إلى نصف الليل ، فيفتح الصناديق بنفسه ويحملها كلها وينظمها فيساعدنا جميعاً لكي يخرج بكتاب من تلك الكتب يشتره بتخفيض بسيط ، ويذهب به مسروراً ، وأنا واثق بل اجزم بأنه لم يفتح كتاباً من كتبه او طالعه منذ عرفناه، وتراه يمزح مع كل صاحب مكتبة فيصل به الحال إلى الشتيمة وبذىء الكلام والتندر من كافة اهل المكتبات ، والكل يعرفونه فلا يزعلون منه ، ومع مجالسته ارباب المكاتب واكثر الأدباء والعلماء فإنه ومازال عامياً لم يستفد شيئاً مما اقتنى ، وقد لاحظنا انه قد خفف من هوايته هذه فلم يعد كما كان في البداية ، وهو الآن في سبيل تأليف كتاب بالاستعانة ببعض اصدقائه . اما المكتبة العصرية فكان يجلس فيها عبد المجيد الهاشمي ومحمود فهمي درويش ، ومصطفى علي ، وعبد الرزاق الحسني ، وجلال الطائي ، وليس هناك من حديث بينهم سوى ما يتعلق بتحقيق عمر محمود حلمي ومغامراته الخالية في غرام موهوم .

اما عبد الحميد زاهد صاحب المكتبة الوطنية فكان يجلس عنده بعض النواب بالمجلس النيابي من شيوخ العشائر وكذلك محمد مهدي الجواهري وسعد صالح وعلي الشرقي ، وكان يجلس عند السيد عبد الامير الحيدري عبد الحسين الازري والشيخ محمد السماوي ، وكان السماوي على شهرة مكتبته لا يقتني الا قليلا من الكتب فهو يتصيد البعض في المزادات او يبادل بما تكرر لديه منها او ينسخ بعضها، وكان اصحاب المكتبات هؤلاء لا يقومون بواجب الضيافة إلى احد من جلاسهم حتى ولو بقليل من الشاي او حتى الماء اذ لم تجر العادة حينذاك على ذلك .

ويلاحظ جهل باعة الكتب فإن الكثير منهم لا يعرف القراءة او الكتابة والبعض الآخر دخل المدارس الليلية اخيراً فتعلم قليلاً ، ومن كان يعرف الكتابة و القراءة لم تكن

عنده الرغبة في قراءة شيء ما عدا السيد كاظم الحيدري الذي نبذ الكتب مرارا ولم يلبث يعود اليها مرة بعد اخرى ، والقليل منهم يطالع الجرائد او المجلات لا سيما محمود حلمي ، اما نعمان فأنه كان يطالع مع احد الايرانيين جريدة فارسية بغية ان يتعلم الفارسية ، وبالرغم من كثرة ما قرأ لم يتعلم سوى كلمات معدودات من تلك اللغة ، واقدام الكتبيين في السوق اثنان هما : نعمان الأعظمي ومحمود حلمي ، وهذا الاخير بالرغم من قدمه في السوق لم ينل حظا من المعرفة بالكتب و المكتبات فهو لا يذكر سوى الكتاب الذي امامه ولم يحسن النطق حتى بأسم الكتاب على الوجه الصحيح وبقي محدودا في كل شيء مع انه كان يعتبر الوحيد بين باعة الكتب في استيراده للكتب الحديثة والمجلات ، وكنت اتردد عليه والاحظ ما حوته مكتبته من الكتب القيمة ، وكنت اتمنى ان احصل على البعض منها ، فدخلت عنده مرات فأخترت كثيراً مما طبع في اوربا وكانت مكدسة حتى أراد التخلص منها ذات مرة فباع لي كتاب تاريخ ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني من مطبوعات برلين وهو نادر جدا بسعر النسخة ٥٠ فلساً مع اني شحنته إلى اوربا بأجمعه وبعث النسخة بدينار وكانت فهارس (موكرياني) وهو الذي كان يرتب حروفها ويطبعتها بمطبعة بدائية في اربيل ويوزعها ويعرضها ويبيعها (الخياط بشير المشير) مقابل جامع الحيدر خانة . اما الكتب البهائية فلم تكن معروفة حينذاك غي ران الدامرجي كان قد طبع على نفقته مجموعة من الكتب اهمها (بهاء الله والعصر الجديد) بالكردية وصدر كتاب الاقدس الذي نشره الياس خدوري عناية المبشر والموظف بالمكتبة الانجيلية وكان الناس يرغبون بالاطلاع على البهائية والبابية والزيدية والصابئة وصدرت بعض التوافه عنها واذكر كتابا اسمه عبدة الشيطان في العراق كان قد انتحله ناشره من مقال نشر بمجلة لغة العرب . الا ان كتبا كثيرة ومقالات صدرت في اللغة الايطالية والانكليزية ، امثال كوزبه فرلاني ومسند دروار وغيرهم من الرحالة . اما المكتبات الانكليزية فلم تكن في بغداد سوى مكتبة مكنزي وكانت نشطة جداً بسبب وجود الجيش الانكليزي في الهندي والشعبية وبعدها بالحبانية ومحلهما في المربعة . وكانت المجلات الانكليزية التي ترد اكثر من المجلات العربية وهناك بعض المدارس اليهودية والمسيحية التي تستورد بعض الكتب الفرنسية والانكليزية

الدراسية (الكنيسية) .

وكان يؤخذ عن كل كتاب مجلد رسم كمركي قدره قرش واحد (نصف آنّة) اي ما يساوي الآن فلسين .

فلما عين طه الراوي مديرا للمطبوعات الغي هذا الرسم عن الكتاب وسهل أمره واستيراده وللكتاب متاعب كثيرة فأني آليت على نفسي بأن لا أشتري كتاباً من يد احد وذلك لأنني لو اشتريت كتاباً من احد بمائة فلس وبقي عندي سنوات ثم ارتفع سعره فأني صاحبه قد يعاتبني بأنني قد نصبت عليه وغبنته بسعره .

ثم هناك السراق للكتب من الخدم والاولاد وقد صادفتني محن كثيرة اذكر منها سرقة مكتبة فهمي المدرس فقد كان عنده خادم هندي ، سطا على مكتبة المدرس شيئاً فشيئاً على مرور الايام فباع محتوياتها . كما ان الشريف محي الدين احد انساب العائلة المالكة كان يحرز من الكتب النفيسة ، وقد كان حظها بعد ان باعني خادمه اياها حظ سابقتها في البيع، الا اني اشتريتها ، بعد ان عرضتها على مكتبة المتحف العراقي وكان الاستاذ ساطع الحصري مدير الآثار يومذاك وهو صديق للشريف محي الدين فلما رأى توقيعه على معظم تلك الكتب اسقط في يده فطلبني وسألني عنها فعرفته بطريقة شرائي اياها وعندئذ احيل الخادم إلى المحكمة وأعترف وكان الشاهد عليه طباخ الشريف وهو اخو السارق فحكّم عليه بالحبس ولولا اعترافه لسجنت بدله.

ثم هناك متاعب اخرى ، منها ان كثيراً من الكتب تتبعثر في البيوت فتضيع منها بعض الملازم وبعد سنوات يأتي صاحب الكتاب وهو لا يدري من اين اشتراه ومع هذا يطلب بالحاح استبدال الكتاب او استعادة ثمنه وهو غير متأكد بأنه اشتراه منك او من غيرك فتصل المشادة والعتاب . وقد صادفني من هذا شيء كثير وأذكر هنا حادثاً بسيطاً كمثال لما ذكرته : جاءني احدهم وقال ارجع هذا الكتاب لأنه ناقص وكان الكتاب (شرح قطر الندى) وجاء به بحالة يرثى لها مفكك الملازم وممزق الاوراق . فقلت له في اي وقت اشتريته؟ فقال لا اذكر ولكن اعتقد بأنني اشتريته قبل ثلاث سنوات . وقلت له هل انت

متأكد من أنك اشتريته مني ؟ فقال وهل غيرك يستورده وعبثاً حاولت اقناعه بأن هناك كثيراً من المستوردين وبعد جدال طال دون جدوى وخوفاً مما سيقع ومما سأسمع منه ابدلته او بالاحرى اعطيته ثمناً قدرته له اذ لم يكن يعرف حتى ثمنه .

وهناك كثير من الزبائن ويدخل فيهم جماعة من علماء ايران والنجف ، لا يشتري الكتاب الا مشروطا بتوريقه ملزمة امامك او بالاتفاق على مدة وممن رأيتهم يورق الكتاب دفعاً للخطأ روفائيل بطي ومصطفى علي وجمال الألوسي ، وغيرهم في بغداد من يورق الكتاب . وكثير من الكتب لابد ان يقع فيها خطأ أو تمزيق او ارتباك في التجليد وتسلسل الصفحات .

تصل إلى بغداد المخطوطات من كربلاء والنجف الأشرف ، وهي اجود ما يعرض من المخطوطات واندرها ، وكان يتسوقها الكتبي الشيخ مهدي رئيس وغيره ، ويعرضها علي نعمان الأعظمي او انستاس الكرمللي ، فأن لم يوفق في بيعها لهما عرضها علي عباس العزاوي الذي سرعان ما يشتريها ، ومن كركوك كان يتسوق المخطوطات الملا صابر حافظ وهو رجل حسن المعاملة .

وأذكر ان نعمان الأعظمي سافر ذات مرة إلى ايران فأشترى بعض المخطوطات ، ولما عاد بها احتجرت منه في الحدود ولم يتمكن من اخراجها واعادتها ولكنه عند رجوعه اخبر احمد حامد الصراف المحامي بما وقع له لدي السلطات الايرانية بما له من علاقات ودية مع كثير من ساستها وعلمائها وادبائها ، فأشترط علي نعمان انه اذا وفق في اعادة هذه المخطوطات اليه فإنه يأخذ احداها يختارها هو مما يعجبه منها ، فوافق نعمان على ذلك ، وقام الأستاذ الصراف بمساعيه فحصل عليها كاملة واختار منها ديوان (حافظ شيرازي) محلى بالذهب ومزوقا ، الا انه بعد ان أشبع رغبته منه فباعه اليه ثانية بمبلغ لا بأس به .

وهناك من يأتي إلى السوق بمخطوطة لبيعها وقد لفها بمتريين من الخام وأدخلها بعد ذلك في كيس من القטיפفة المطرزة معتزاً بها فيصف لك كيف حصل على هذه المخطوطة وكيف آلت إليه وكيف انه اصابه ارث من آبائه وأجداده وكيف ضحى بهذا الارث واستهان به واكتفى بهذه المخطوطة التي يبقى ساعات يصفها دون كلل او ملل ، ولكن عند فتح هذا الكنز تجد ان المخطوطة لا تساوي درهما واحداً ولكن لا يمكننا مصارحة صاحبنا بهذه الحقيقة فنظل نحن نعامله ونشيد بهذه المخطوطة ونبدي اهتمامنا بأهميتها وعجزنا عن شرائها لندرتهنا وعلو ثمنها بالنظر إلى نفاستها ، ونشير عليه بان يذهب بها إلى العزاوي او غيره ولا سيما المتحف ، فينصرف إلى من أرشدناه اليهم ، وربما باعها إلى بعضهم بسعر جيد لعدم المعرفة لدى هذا البعض .

وتصل بعض المخطوطات من مدينة الموصل ، وكان يتسوقها شاعر شنشل صاحب المكتبة الوطنية فيها ، ولكنني لم اجد بين ما يجلبه مخطوطة لها اهمية تستحق الذكر، فكلها مخطوطات كتبت في العصور المتأخرة ، وأكثرها يبحث في الروحانيات والسحر والزيارحة والسيمياء والطب والفلك ، ولم ارى لها اي اهمية او قيمة علمية او ادبية ، وكان اكثرها يقتنيه العزاوي وأغلى مخطوطة كان ثمنها لايزيد على دينار واحد .

وقد زار سوق السراي كثير من العلماء و الساسة والادباء منهم عبد العزيز الميمني الراجكوتي استاذ العربية بجامعة عليكرة واول من نبه العرب إلى اهمية ابي العلاء المعري ومكانته والف عنه كتابا حينذاك سماه (ابو العلاء وما اليه) طبعه بالمطبعة السلفية بمصر .

وزار السوق امين الريحاني فيلسوف الفريكة واديبها ، وبقي مدة يجلس طول النهار في المكتبة العصرية يوم نشر كتابه (قلب العراق) وجاء يسعى لدى مديرية المطبوعات يومئذ ليحول دون قطع بعض صفحات من الكتاب كان قد كتبها ولم تلق استحسانا من حكومة العراق حينئذ ، وكان آخر مؤلفاته قد نشر بعنوان (انتم الشعراء) فأنبى له احد

القسس من الذين خرجوا من الكنيسة واسمه الاب معوض فرد عليه بكتاب سماه (اجل نحن الشعراء) والكتابان من اتفه ما قرأت .

وقد زار السوق محمد امين الخانجي العالم بالمخطوطات واشهر كتبي بالعالم الاسلامي، فأقتنى كثيرا من الكتب المهمة وعاد بها إلى مصر ، فنشر بعضها ، وكان يطبع على غلاف تلك النشرات (من آثار العراق) ومما نشره من الكتب (جواهر الالفاظ) لقدمية بن جعفر الكاتب البغدادي ، وكتاب (الآداب) لجعفر بن شمس الخلافة وغير ذلك من الرسائل والكتب المهمة التي تم طبعتها في مطبعة السعادة ، الا انه استغرب كثيرا من خلو العراق من المخطوطات ، وكان يتصور انه سوف يرجع بألاف من الكتب المخطوطة يجدها مكدسة بالبيوت والطرفقات لما اشتهرت به بغداد من العلم والأدب والحضارة ، لكنه نسي ان المحن والكوارث التي مرت على العراق والجهل والحريق التي منيت بها بغداد أتت على ذلك التراث الضخم.

ويعتبر العراق افقر بلاد العالم قاطبة بالمخطوطات اذا ما قيس بمصر واسطنبول ودمشق والهند .

وزارنا الشيخ خليل الخالدي العلامة بالمخطوطات وصاحب اكبر خزانة للكتب بالقدس الشريف ، وهي الخزانة الخالدية ، وكان عائدا من الاندلس والمغرب بعد جولة طويلة قام بها، فأندهش عندما لم يجد ما يستحق الذكر من المخطوطات والعلماء والادباء في العراق ، فعاد وهو غير مصدق ما شاهده ولمسه ، وكان ذلك اوائل سنة ١٩٣٥ .

كما زار السوق المستشرقون غوتهيلد وايل الذي حقق ونشر كتاب (الانصاف بين النحويين) للأنباري ، والعلامة ريتز ناشر سلسلة المكتبة الاسلامية واكبر علماء الاستشراق من المعاصرين والمتخصص بعلم الفرق وعلم الحديث ، وقد بلغ ما نشره (١٨) كتابا من عيون الكتب مثل : فرق الشيعة للنوبختي والوافي بالوفيات للصفدي ومقالات الاسلاميين

للاشعري وغير ذلك ، وفي سنة ١٩٣٥ زار السوق المستشرق الايطالي كارلوا. نالينو المتخصص بعلم الفلك عند العرب وتاريخه والمحاضر في الادب الجاهلي بالجامعة المصرية والذي اثنى عليه الدكتور طه حسين في كتابه (في الادب الجاهلي) فقال انه احد من علمنا اصول البحث العلمي ، ونشر كتاب (الزيج الحاكمي) وقطعة من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للادريسي عن جنوب ايطاليا وبلرم .

كما زار السوق الامير يوسف كمال يصحبه وزير اوقاف مصر يومئذ جعفر ولي باشا، فأقتنى بعض المصاحف النادرة ومجموعة نفيسة من الكتب الفارسية المصورة والمزوقة مثل ديوان حافظ شيرازي ويوسف وزليخا وشاهنامه الفردوسي وغير ذلك .

والكتب الخطية بيع اكثرها خارج العراق ، وكان اكثر من يشتريها من الاجانب احد يهود العراق المهاجرين إلى اميركا واسمه اس يهودا ، وقد جمع ما يقارب العشرين الف مخطوطة من مختلف انحاء العالم ولا سيما العراق ، وكان وسطاؤه في الشراء اشخاصا كثيرين اشهرهم محمد امين الخانجي ، وقد باع اس يهودا هذه المخطوطات بعد ذلك لمكتبة جامعة برنستون ، وحفظت بمكان امين ، وعني بها بعد فهرستها وفرزها ، ويمكن لطالبيها ان يطلب تصوير اي مخطوطة شاء منها فلا يمر وقت الا وقد وصلت اليه مصورة بالفوتستات او بالمايكروفيلم تلك المخطوطة بأرخص ثمن يطلب منه وذلك خلافاً لما اشتهر به البعض عندنا ممن احرز المخطوطات التافهة وأصبح لا يرضى حتى بذكر اسمائها خوفا من ان يطلب منه تصويرها او حتى رؤيتها ، وقد عرف هذا عند الخاص والعام واصبح يذكر مقروناً بهذه الخصلة الذميمة على كل لسان وبكل مجلس ومكان مع شديد الاسف . كنت ونعمان الأعظمي نقوم بترتيب الملازم وتغليف اجزاء عم والالف باء بأيدينا وعند اكمالها يقوم هو بقصها بيده مستعملاً المقص فيقصها واحدا واحدا وذلك بالرغم من وجود مكائن قص وبأرخص الاجور، وربما خرج الدم من اصبعه من جراء هذا العمل الشاق المضني .

وكنت اذا احتجت لعشرة فلوس اجرة عودتي بالسيارة من بغداد إلى الأعظمية محل سكناي وطلبت منه هذا المبلغ فإنه يتلأأ ويرفع اصبعه إلى (الروزنامة) مشيراً إلى ان الشهر لم ينتهي بعد ، ولذا فإنه لن يعطيني هذه العشرة فلوس ، فأضطر ان اذهب ماشياً ولو كان الجو بارد فارس البرودة ، وكثيراً ما اصطحب معي أخاه حمودي الذي تعود المشي ذهابا وايابا طوال السنه صيفا و شتاء حاملا على رأسه شوالا من الورق الدست عائدا به إلى الأعظمية ليتدفأ به في بيته لشدة فقره وعوزه ، وأما ان اقترض عشرة فلوس من جاري رشيد عبد الجليل الذي لايزال حياً يرزق حفظه الله ، وكنت قد تمرنت على العودة إلى بيتنا في الأعظمية ماشياً مايقارب الستة اشهر من السنة بعد خروجي من المدرسة المأمونية عند انتهاء الدرس ليلا وبهذا فأنتي استطعت ان اوفر بعض النقود لأشتري بها جزءا من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني أطالعه ، اذ سبق ان اشرت إلى ان استاذي لا يسمح لي بالقراءة لا في المكتبة و لا في البيت فلا يرضى بأعارتني أو اهدائي اي كتاب مهما كان ثمنه قليلاً ، فصرت اقتصد وادخر لأقتني بعض الأجزاء من كتاب الاغاني في كل شهرين او ثلاثة اشهر ، اشتريتها من (عبد الحميد زاهد) لأنه يخفض ويخصم لي من ثمن الجزء خلاف نعمان الذي لو طلبت منه كتاباً زاد ثمنه علي ، وعند تملكي اي كتاب كنت التمسه ان يوقع عليه لكي لا يظن انني اخذته من مكتبته يوم ما ، وعندما خرجت منه وانفصلت عنه كان بذمتي له (٦٠٠) فلس بعث الي برسالة يطالبني بهذا المبلغ رغم انني خدمته بصدق واخلاص وامانة وحماس سبع سنوات لم انقطع خلالها يوماً واحدا عن الدوام حتى في ايام العطل والجمع .

وكنت احفظ من كتاب الاغاني اشعار الاصوات المختارة وتراجم الشعراء والادباء ، حفظتها مع كثير من الملح والنوادر والشعر المكشوف ولكتاب الاغاني يعود الفضل في اذكاء روح المطالعة التي احببتها كثيرا .

وكان لايرضى ان ارتدي بدلة (سترة وبنطلون) واكون مهنما انيقاً ، وحجته

في ذلك اني اذا ارتديت البدلة فأنتني سوف لا اشتغل كما ينبغي ، اذ انا وهو كنا نحمل الكتب من المخازن إلى المكتبة وبالعكس طوال النهار ولم يتخذ قط حملاً لهذا الغرض . وعندما اصل إلى المكتبة صباحاً اخلع البدلة في بيت اخيه محمد صالح الأعظمي وارتي الدشداشة والسترة.

واذكر انني كنت قد كلفت يوماً الخياط الخاص لنعمان اسمه الحاج حمودي وكان حانوته يقع في المصبغة بجانب مسجد الخفافين ان يفصل لي بدلة ارتديها في عيد الأضحى، وكانت البدلة لا تكلف اكثر من (٥٠٠) فلس ، وكنت قلما افصل بدلة لعجزي عن تسديد ثمنها ، فكنت اشترى ما اجده من الملابس الجاهزة بسوق هرج ، ولما جاء موعد تسلم البدلة ارسلت من يجلبها لي ، ولكن الخياط امتنع عن تسليمها حتى اسدد اليه الثمن او ان يكفلني استاذي نعمان بدفعه ، فألتجأت اليه ، ولكن عبثاً حاولت اقناعه بهذه الكفالة ، ولما خاب سعبي رغم ما بذلت من جهد في الحصول على هذه البدلة التي لم يكن عندي غيرها فقد بقيت في داري لا أخرج منها حتى انتهى العيد (السعيد) .

وقبل ان اشتغل بالمكتبة العربية كان يعمل فيها السيد (موسى الشهرستاني) الذي لم يرق له الاشتغال فيها واستاء من معاملة استاذنا فالتجأ إلى المدرسة وبقي عاكفاً على طلب العلم حتى دخل الكلية الطبية وتخرج منها دكتوراً واختص بأمراض العيون من جامعة لندن ، ولم يستفد من معرفته بالكتب او ما يتعلق بها لانصرافه إلى المدرسة كل الانصراف ، ولما ترك المكتبة عين نعمان مكانه شاباً آخر اسمه عبد الأمير عباس ، وهو شاب أمين ولطيف جداً ، واشهد انه اطيب من رأيت من الشباب المعاصر ، ولكنه كان كذلك مستاءً اذ لا تقدير لما يقوم به من شتى الاعمال المكتبية والفنية فترك العمل في المكتبة وأصبح خطاطاً وفناناً ورساماً .

وفي سنة ١٩٣٣ وفد إلى السوق محمد جواد حيدر واشترك مع عبد الحميد زاهد في ادارة المكتبة الوطنية ، وكان معه رأسمال لا بأس به ، اذ قلما وجد صاحب مكتبة جاء برأسمال

لعدم اهمية الكتب والمكتبات بنظر الناس .

وترك عبد الحميد زاهد العراق معتمدا في ادارة مكتبته على محمد جواد حيدر وذهب إلى مصر فأفتتح مكتبة في القاهرة بميدان العتبة الخضراء ، واخذ يشترك مع الناشرين بنشر بعض الكتب ، واول كتاب شاهدت اسمه مطبوعاً عليه وهو كتاب (الاوراق للصولي) قسم الشعراء ، حققه ونشره المستشرق الانكليزي جورج هيورث دون الذي اشهر اسلامه بعد سنوات وتسمى بأسم جمال الدين ، ولكنني عرفته فرأيتته مشعوذاً دجالاً جاهلاً ، وقد زار العراق سنة ١٩٥٧ واقترض مني مبلغاً ، ولما غادر العراق اثر قيام ثورة ١٤ تموز طالبته بالمبلغ فأنكره ، ومن الغريب جداً ان يحصل هذا من اجنبي .

ورجع عبد الحميد زاهد إلى بغداد بعد سنتين قضاهما في مصر التي لم يستطع البقاء فيها ، وانفصل عنه محمد جواد حيدر وفتح له مكتبة سماها مكتبة المعارف .

وكنت اطوي ملازم الكتب وارتبها كما يفعل المجلد ، وبهذا كانت تسنح لي فرصة المطالعة والحفظ ، فأني عندما جمعت ملازم كتاب (الحوادث الجامعة) وكتاب (النور السافر) وغيرهما كنت اضع الملازم على المنضدة واضع نسخة من مقامات الحريري في اولها واخرى في آخرها وافتح نفس الصفحة من كتاب المقامات ففي الذهاب والاياب احفظ ما يتيسر من المقامات او بعض سور القرآن



صورة نادرة للشاعرين الكيبريين الرصافي والزهاوي يتوسطهم عازف الكمان سامي الشوا.

وبعض المعلقات و نتف من شعر الرصافي .

واهم المدن العراقية في شراء الكتب وتصريفها هي بغداد والنجف الأشرف وكربلاء والموصل والبصرة والحلة وكركوك ، وقل المدن العراقية شراء للكتب بل يكاد ان يكون الكتاب فيها لا وجود له ولا ذكر هي لواء الكوت والرمادي واما الوية الديوانية والعمارة والناصرية فأحسن منها بقليل .

والكتب المدرسية لم تكن قد شاع فيها الاختصار والتهذيب كما صارت اليه الآن ، واول من اختصر الكتب المدرسية هو (صدقي حمدي) اذ اختصر كتاب تاريخ النهضة الاوربية لمؤلفه (علي حيدر سليمان) ، فكان الكتاب يقع بـ (٧٠٠) صفحة واختصره بـ (١٢٠) صفحة ، وتلاه بعد ذلك بمختصر للتاريخ القديم الذي كان من اصعب الدروس على طلاب المتوسطة .

والمجلات المستعملة كانت ترد للسوق اما بطريقة الاستيراد من قبل نعمان الأعظمي او محمود حلمي ، واما عن طريق الاسكجية اليهود الذين يمرون في الازقة والبيوت معلنين شرائهم اياها بأعلى اصواتهم وابدالها مع الالبسة المستعملة جنباً إلى جنب بالصحون والنقود. وللمجلات هذه زبائن من الطلاب الناشئين الذين كانوا يمرون على السوق بأستمرار مثل عبد المجيد النعيمي وعبد القادر البراك وغيرهما ، وكانت كافة المجلات تطبع وتصدر بمصر ، اذ لم تكن لبنان قد اهتمت انئذ بأصدار الجرائد والمجلات وحتى الكتب ، وكانت المجلات مليئة بالمقالات الأدبية والسياسية والطرائف والاخبار لا كما هي الآن من سخافات وتفاهات رغم تطور التحرير وكثرة المواد .

وكان موزعون للكتب يحملون ما وصل حديثاً او ما تحتاج اليه المقاهي ، واشتهر منهم يهودي اسمه ابو حمرة لم يكن يجاربه احد بصوته وبندائه وسرعة جريه ونشاطه ، ويتلوه الحاج بزي الذي بلغ الـ (٩٠) سنة ولا يزال حياً ، وكان يعرض الكتب على رواد المقاهي والكباريات الكثيرة المنتشرة قرب جسر مود والميدان ، ولم يكن للكتب من يهتم بها من الباعة الآخرين فيكتفون بحملهم الجرائد القليلة والمجلات المحدودة ينادون عليها

بأسمائها بأعلى اصواتهم ، ولم أر من تقدم منهم مالياً لتفاهة العمولة التي تعطى اليهم وعدم الاعتناء بهم او اجابة طلباتهم إلى هذا اليوم رغم الغلاء الفاحش ، وانني ارى ان تهتم بهم وبمشاكلهم نقابة الصحفيين . وكنت ارى كثيراً من طلاب المدارس الثانوية وكلية الحقوق لا يفوتهم اقتناء اي كتاب يصل للمكتبات ، اذكر منهم عبد الجليل الراوي وأحمد الشربتي وصادق كمونة وزكي عبد الوهاب وعبد الملك عبد الله معاون متصرف لواء بغداد اليوم ومالك الهنداوي وعبد العزيز الدوري وابراهيم مصطفى الايوبي وعبد الكريم جواد المحامي وطلعت الشيباني ، ولن انسى طلعت الشيباني الذي اقتنى مني عيون الكتب والمصادر ما لا يمكن الحصول عليها الآن ، فأشترى مني ذات مرة نسخة من تاريخ الطبري كانت لـ (صفوة العمري) احد الاساتذة بدار المعلمين الابتدائية ، وكان قد علق عليها تعليقات علمية وقومية قيمة ، ومن خلال هذه التعليقات المهمة يمكنك ان تعرف اهمية هذا الرجل وفضله .

معلومات تاريخية

دخلت المطابع في شارع المتنبّي في اواخر العشرينات واوائل الثلاثينات وكانت اول المطابع التي اسست هي : مطبعة العراق و مطبعة بغداد

اوائل الصحفيون : (مأخوذة من دليل المملكة العراقية لعام ١٩٣٦)

سيد حسين جبهة الميدان

شيخ عيسى شارع المأمون

محمد اسماعيل الشبخلي شارع المتنبّي

محمد صالح الأعظمي شارع المتنبّي

معمل تصحيف المملكة العراقية رأس القرية

كان هناك بئر ماء لسقاية الناس في الشارع حتى الاربعينات.

كان هناك مشرب في الشارع حتى نهاية الاربعينات ازاحته الكتب عن المكان.

يقول السيد محيي السامرائي والذي يعمل في التصحيف في الشارع منذ عام ١٩٤٨ بأنه شهد مظاهرات الوثبة في يوم ٢٧/١/١٩٤٨ ، وكيف أطلقت الشرطة النار على المتظاهرين من مأذنة الجامع ، فاستشهد عدد كبير منهم وكان أحدهم اخ الشاعر الجواهري (جعفر) ، فكتب فيه قصيدته الشهيرة : (اخي جعفر) و التي مطلعها :

بأن جراح الضحايا فم
وليس كآخر يسترحم
أريقوا دماءكم تطعموا
أهينوا لثامكم تكرموا

أتعلم أم أنت لا تعلم
فم ليس كالدعي قولة
يصيح على المدقعين الجياع
ويهتف بالنفر المهطعين

... حتى يقول :

إلى عفن بارد يسلم
تقولها عاصف مرزم
خبأ حين شب له مضرم
و يا ضحكة الفجر إذ يبسم

أخي (جعفرأ) يا زواء الربيع
و يا زهرة من رياض الخلود
و يا قبساً من لهيب الحياة
و يا طلعة البشر إذ ينجلي



تخطيط نادر للشاعر
محمد مهدي الجواهري
بريشة الفنان جواد سليم

قالوا في شارع المتنبي

من زخم شارع المتنبي ومن زخم مشاعر الحب التي يكنها الأشخاص للذين يواصلون الحياة مع شارع المتنبي خلال أيام الأسبوع وفي الأخص يوم الجمعة صباحاً، كتب لنا الأساتذة الافاضل مشاعرهم تجاه الشارع وصلتهم به والروح التي جمعتهم مع الكتاب والمنتبي ... وها هي هذه الصفحات التالية تشرح لنا تلك المشاعر، وهي نتيجة استبيان وزعناه عليهم، شاكرينهم في الكتابة إلينا والتعبير عن مشاعرهم النبيلة .

الشيخ جلال الحنفي

الشيخ جلال الحنفي رحمه الله غني عن التعريف ، ولهذا تفضل وامدنا بهذه المعلومة، على الرغم من مشاغله الكثيرة.وقام بأجراء الحديث معه صديقنا الاستاذ عبد الحسين المطلبي ، فشكرا جزيلا لشيخنا الحنفي وللستاذ المطلبي .

يقول الشيخ جلال الحنفي: في اوائل القرن العشرين اي في عهد العثمانيين كان شارع المتنبي يدعى (شارع الاكمك خانة) اي شارع المخبز أو المطبخ ، و "الاكمك خانة" هي في اللغة التركية تعني : (المخبز أو المطبخ) وسمي بهذا الاسم لأنه كانت هناك بناية قديمة تابعة إلى الجيش فيها نفر يطبخون الطعام و الخبز ويعدونه من اجل تجهيز الجيش به .

وقد سمي الشارع بشارع المتنبي في الثلاثينات من قبل لجنة مؤلفة من امانة العاصمة اطلقت على محلات بغداد اسماء جديدة ، ادركت هذا الشارع وفيه بعض المطابع، منها مطبعة النجاح لصاحبها عبد العزيز الدباس ، ومطبعة جريدة العراق لصاحبها

رزوق غنام ، وكان هناك في الشارع عدد من مجلدي الكتب يسميهم الناس (الصحاحيف) جمع صحاف ، ومنهم محمد اسماعيل الشبخلي وكذلك السيد حيدر الجوادي ، كما كان هناك عدد من الاطباء الاجانب منهم ماكس ماكوفسكي ، وكان المراجعين الذين يقصدون عيادته يملأون ارصفة الشارع ، ومن طريف ما يذكر عنه انه كتب لأحد مراجعيه المرضى وصفة دواء ذكر فيها " ورد اللسان الثور " الذي يسميه اهل بغداد (ورد ماوي) وقد كتب الاسم بالاصطلاح العلمي ، فبحث المريض في صيدليات بغداد الاربع يومذاك - ولا خامسة لها - فلم يجد هذا العلاج في حين انه يباع في الشورجة بأربعة فلوس .

واضطر المريض إلى ان يدفع مبلغا قدره ثمانية دنانير للدكتور (ماكوفسكي) ليجلبه له بالطائرة من الخارج ، فلما تبين له ان (ورد لسان الثور) هو الورد ماوي، تألم لهذا المبلغ الكبير الذي انفقته في الحصول على الدواء .

ومن الاطباء العراقيين في الشارع ، الطبيب صائب شوكت ، وقد كان في بعض الفترات عميدا لكلية الطب العراقية ... وبعد مدة قصيرة كثرت المطابع في الشارع ، ومنها مطبعة المعارف لعبد الكريم القدوري ، ومطبعة سلمان الأعظمي ، ومطبعة الارشاد ... وكثرت ادارات الصحف ، ومنها جريدة الحوادث لصاحبها عادل عوني ، ومجله المناهل لصاحبها عبد اللطيف بستانة ومطبعة " حميد العاني " وقد انتقلت عدة مكاتب كانت داخل سوق السراي إلى هذا الشارع منها " المكتبة المصرية " لحمود حلمي ... ونشأت كذلك مكاتب جديدة منها " مكتبة المثني " لقاسم رجب ، ومن المؤسف ان هذه المكتبة قد تعرضت لحريق اتى على جميع ما فيها من ذخائر ومصنفات نفيسة نادرة ، وكذلك " مكتبة البيان " لصاحبها علي الخاقاني ، ومكتبة النهضة لصاحبها عبد الرحمن حياوي .

وكثر في الشارع باعة القرطاسية والحاجات المدرسية ، كما كثر المجلدون ومنهم الاعظمي وغيره ، كما كانت هناك مطاعم منها مطعم لبيع " الكاهي " وقديما كان في هذا الشارع ناد يسمونه نادي الفلاح وبعض النوادي الاخرى يقبل فيها روادها على معاقره

كوؤوس الخمر ، ويعتقد اسم المتنبى اطلق على هذا الشارع لقوله، اعني المتنبى :

أ صخرة انا مالي لا تحركني

هذي المدام ولا تلك الاغاريد

وفي هذا الشارع مقهى قديمة هي مقهى الشابندر ... وكان رشيد القندرجي يغني فيها المقامات العراقية خلال شهر رمضان مع الجالغي البغدادي وقديما كان في رأس الشارع من جهة شارع الرشيد حمام إلى جنبه بيت الشيخ احمد الداوود احد وزراء الاوقاف ، وفي اول هذا الشارع كذلك فتح الفنان عقيل جلال الاستوديو المسمى دار الوشي الفضي ... وسكن السيد شاکر البدری مدة غير قصيرة مع اسرته في بعض المواقع من هذا الشارع ، وقديما كانت اسرة رفيق عيسى التي يتخذ افرادها مجلساً لهم على الطريق بعد العصر في رأس زقاق يتفرع من هذا الشارع وينفذ إلى شارع الجسر ، "شارع الدكنجية" وفي هذا الفرع كانت مطبعة اسعد لصاحبها محمد سعيد ، ويتفرع من هذا الشارع فرع آخر ينفذ إلى عدة منافذ منها المتحف العراقي وسوق السراي وجامع عثمان افندي ، الذي كان فيه الملا جواد المشهور في بغداد حيث كان يعالج المرضى بالادعية .

وينفذ من هذا الشارع منفذ آخر يقابل هذا المنفذ فيه مسجد " حكمت سليمان" وفيه بيت آل رفيق السعيدى وشفیق السعيدى ، وكانت تصدر لهم فيه جريدة سياسية . وينفذ كذلك إلى متصرفيه بغداد ، وإلى جامع السراي ، وإلى امانة بغداد وفي الشارع الذي نحن في صدد الكلام عليه كثر عدد من المحامين ومنهم المحامي مهدي مقلد وعبد الحسين الكاظمي ، وفي هذا الشارع كانت مكاتب عدد من دلاي الاملاك ، كما كان فيه بيت كبير لفائق الآلوسی ، هدمه واتخذ منه سوقاً شغله عدد من صاغة الذهب ، وكثر باعة الكتب في هذا الشارع ممن كانوا يطرحون كتبهم على الارصفة، وينفذ من هذا الشارع ايضا شارع يقابل شارع المحامي رفيق ينفذ إلى طرقات كانت فيها عدة مطابع منها مطبعة جريدة البند لعبد القادر البراك ، وبعض باعة الورق ومنهم خليفة زيدان ... ومدرسة شاکر البدری اول مدرسة لجمعية التفيض الاهلية وكنت انا (جلال الحنفي) احد طلابها في العشرينيات ،

وقد زارها الملك فيصل الاول ، وكنا انشدنا للملك نشيداً لازال احفظ بعضه:

ايها الملك العظيم	فخر كل العرب
ملكك ملك الفخيم	ملك جدك النبي

وصارت مدرسة التفيض ، بعد ذلك دائرة انحصار التبغ ، وادركت انا الشيخ جلال الحنفي هذا الشارع وفيه المكتبة الانجيلية التي كانت قديماً في شارع البدوي ، ثم سميت المكتبة الانجيلية ، وكان يدير امرها " خدوري عنايات " وكنا نجتمع في مكتبته ، وهو يتعاطى اعمال التبشير ، فنناقشه في ايام العطل الصيفية المدرسية ، ايام كنت طالباً في الصف الخامس الابتدائي .

وصار هذا الشارع شارحاً تجارياً ذا ممر واحد تدخله السيارات من جهة القشلة ثم تخرج إلى شارع الرشيد وفي هذا الشارع فتح احد الاشخاص واسمه راجي اول مكتب لبيع الصحف المحلية غير انه لم يفلح في مسعاه ، اذ لم تتعاون معه صحف بغداد كلها ، وقد ادركت وانا صغير السن معملاً للكاشي كان يديره " طه ابو الكاشي " وهو الشخص الذي ادخل صناعة الكاشي إلى العراق اول مره ، وكان معمله يقع قريباً من مكتبة المثني وهو الآن بناية كبيرة فيها سوق "كتب قيصرية" في الداخل تعود إلى وراثته .

الشيخ جلال الحنفي

توفي - رحمه الله - في ٢٠٠١

سر شارع المتنبي

بقلم الدكتور

عماد عبد السلام رؤوف

ليس من قاريء او باحث او كاتب في بغداد ، بل في العراق كله ، لا تربطه بشارع المتنبي صلة ما ، بل ليس من المتصور ان يكون المثقف مثقفاً كلياً دون ان يكون له وجود في هذا الشارع ، باحثاً عن كتاب نادر ، او مقتنياً لكتاب حديث الصدور ، او متتبعاً لآثار كاتب ، او اديب او شاعر ، وقع عجيب ذلك الذي يتركه اسم شارع المتنبي في وجدان كل عراقي شغف بالكتاب ، وهو وقع يشبه ما يتركه ذكر الحبيبة في قلب عاشق ملهوف ، من زيادة في النبض ، وشوق إلى تجدد اللقاء !.

ولا تنبعث اهمية الشارع من انه المعرض الدائم للكتاب ، فمثل هذه المهمة تعرضها ارسفة شهيرة في مدن عربية عدة ، ربما كان سور الازبكية في القاهرة ادناها منا ، ولكنها تقوم من حيث الاساس على ما يوفره من مناخ ثقافي عام ، اكثر سعة وشمولا ، ففي مكاتبه تكثر لقاءات المثقفين ، وعلى ارسفته يلتقي هذا الكاتب بذاك ، فتدور حوارات هادئة ، او حامية ، وربما اختلطت اصواتهم بندايات باعة الكتب المستعملة ، او غطى عليها جدل ممض بين احد البائعين ومشتري على سعر كتاب او ديوان ، فيؤلف الجميع هديراً جميلاً ، في نشازه تناغم ، وفي صياحه الفه محببة .

وإلى وقت قريب كان شارع المتنبي مصنع الكتاب العراقي الوحيد في بغداد تقريباً ، ففي ازفته الضيقة توجد مطابع بغداد الشهيرة ، التي طالما اتحفت القراء في العراق وفي الوطن العربي ، بألاف من المطبوعات الانيقة على رغم فقر الامكانيات الفنية ، وفي تلك

الازفة كان ثمة مجلدون قادرون على اليباس الكتاب القديم حلة جديدة محكمة ، هذا فضل عن عدد غير قليل من الخطاطين الجودين ، وصناعي الكلاش التي يحتاجها الكتاب عادة ، والمصممين ، والصحفيين ، وباعة الورق على انواعه ، انه خلية نحل اذن ، قوامها الكتاب ، والكتاب وحده .

وكما ان للعبادة شعائر خاصة ، وايام مباركة مخصوصة ، واوقات مفترجة ، فلشارع المتنبى من غير تشبيه ، مايشبه هذا ! فأنت تراه في ايام الجمع وقد تقاطر اليه الباعة من كل مكان ، في الصباح الباكر ، يعرضون على ارصفتهم ، وعلى اديم اسفلتهم ، وعلى سطوح سياراتهم ، بل على كل شيء ذي سطح ، آفا من الكتب في جميع ما يخطر على البال من مجالات العلم والمعرفة والادب ، فيضج الشارع بالمقابل ، بكثرة المشترين ، والباحثين ، والمتفرجين ، ويكثر الزحام حتى لا تجد مكاناً لوضع قدم واحد ، فاذا ما انتصف النهار وأذن المؤذن لصلاة الجمعة من مئذنة جامع الوزير القريب ، انفض الجميع وكأنهم على موعد ، فلا تجد الشارع الا وقد انقلب ارضاً فضاءً لا تكاد تسمع فيه صوت انيس .

وفي حوالي الشارع محطات للمتعبين الذين يقضون الساعات في البحث عن ضالته من الكتب ، او المثقفين الذين لا يجدون في ضجيج السوق ما يساعدهم على الحوار ، وليست تلك المحطات الا مقاهي قديمة هنا أو هناك ، اصبحت لقدمها تراثاً محبباً لروادها ، ففي مدخل الشارع الغربي مقهى الشابندر العريق ، بأبوابه الخشبية و (كروياتته) العتيقة ، ونراكيه العامرة بالجمر ، وابتسامه صاحبه المعهودة ، وفي كل مكان قريب من شرقي السوق ، على شارع الرشيد ، مقاه ذات صيت ذائع ، لعل اقربها إلى وظيفة السوق نفسه وطقوسه ، مقهى قديم هو مقهى حسن العجمي ، يجتمع فيه اهل الادب على اختلاف مدارسهم واجيالهم ، فلا تكاد تسمع فيه الا حديثاً في الادب وابيائاً من الشعر ونحوهما ، يختلطان مع صوت ملاعق الشاي القديمة وهي تفرع جدران (الاستكانات) المترعة برقعة او بعنف بحسب نوع الحوار ودرجة حرارته .

وان كنت من رواد الشارع القدامى ، مثلي ، فستطوف بك ذكريات يمسك بعضها برقاب

بعض ، فتبدو كفيلم تحركه آلة عرض بسرعة ، فهناك كانت مكتبة قديمة حفلت بكل ما هو نادر ومهم من الكتاب العربي ، تحتل داراً قديمة شرقية الطراز ، انها مكتبة المثنى ، بطابقها الارضي الذي كان ذات يوم ملتقى كبار المؤرخين ، وطابقها العلوي حيث كانت تزدهم غرفة بألاف من الكتب ، وبين الطابقين تنتقل الكتب بسرعة لتصل إلى يد قارئ يبحث عن ضالته ، او عالم يريد ان يزيد علماً .

وفي هذه القاعة الكبيرة كانت ثمة المكتبة العصرية ، احدى اقدم المكتبات في السوق كله ، تكتض ارففها ومناضدها بالكتب ، والناس حول صاحبها يتحلقون يجمع بينهم حديث شيق ، اطاره الادب ، وفحواه ادب ، فلا يقطعه الا سؤال سائل عن كتاب يبتغيه ، فأذا ما استجيب لطلبه ، عاد القوم إلى ما كانوا فيه .

وهناك في طرف السوق الآخر ، مكتبة النهضة ، تحتل احدى دور الشارع القديمة ، وفي الدار حجرات ورواقات عدة امتلأت بالكتب المستوردة من كل حدب وصوب ، وصاحب المكتبة يسعى بينها ملياً طلبات رواده من الطلبة والباحثين بكل همة ، فأذا ما اجتزت الشارع إلى الجهة المقابلة ، طالعتك في صدر زقاق هناك مكتبة البيان ، وقد تصدرها اديب شيخ وان ارتدى زي الافندية ، وقد احاط به فضلاء اكثرهم قادمون من خارج بغداد ، ينشدون الشعر الفصيح والريفي على حد سواء ، ويحفظون الزهريات والابوذيات حفظهم لأسماء اولادهم فلا تكاد تسمع منهم الا ما هو ممتع ومفيد .

وعلى بعد خطوات ، تطالعك لافتة كبيرة كتب عليها عنوان (المكتبة الاهلية) وهي مكتظة كجارتها بالكتب واكثرها قديم نادر ، ولكن صاحبها يتخذ من مدخلها الضيق موقفاً لوقوفه او جلوسه ، فلا يمكن لأحد من دخولها ، وبذا يحفظ تلك النوادر من يد عابث ، متعهداً بطلب كل من يريد كتاباً بعينه !

وبين هذه المكتبة وتلك ، مطابع ذات شأن في عالم الكتاب العراقي ، ولعل من اقدمها مطبعة المعارف ، التي يكفي لو اراد احد ان يحصي عنوانات مطبوعاتها ان يملأ في ذلك كتاباً قائماً برأسه ، فلم تتوقف عجالات هذه المطبعة ، على الرغم من قدمها ، عن الدوران نحو

سنة عقود من السنين ، وكانت تقذف كلما هدرت كتباً قد اتقنت طباعتها إلى حد بعيد .
وفي باحة دار قديمة تجاوز دار المثني ، انتصبت مطابع هايدلبرك الشهيرة ، لتطبع
كتباً انيقة اكثرها في القانون والترات ، فتحسدها ، لأنافتها واتقانها وقلة اخطائها ، افضل
حواسيب هذا الزمان ، وعلى كتف باب الدار الخارجية يقرأ المارون اسم (مطبعة العاني)
على لوحة نحاسية هناك .

على ان المتنبى لم يكن شغوفاً بالكتب وحده ، فحتى العقود الاخيرة ، كانت ثمة
مؤسسات تنافس هذا الحبيب بما تحتله من ارض هذا الشارع العتيذ ، فعلى شمال مدخله
من جهة السراي ، كانت ثمة بناية كبيرة ذات فناء فسيح ، يقف على مدخلها جندي شاكي
السلح ، ومظهر البناية يدل على انها ترقى إلى اواخر العهد العثماني ، وهو استدلال صحيح
، فهذه هي (الاكمخانة) التي منحت للشارع اسمه قبل ان يتخذ المتنبى اسماً له ، وعرفت
فيما بعد بدائرة المخابز العسكرية ، بيد ان البناية نقضت منذ الستينات ، وشيدت مكانها
قيصرية على طراز بغدادى محبب ضمت عدداً كبيراً من المكتبات صغيرة الحجم ، الكثيرة
النشاط بما تعرضه من افانين الكتاب .

فان قدمت إلى الشارع مبكراً ذات يوم ، فليس اجمل من ان تتذوق طبقاً من
(الكاهي) الشهير تصنعه يد اسطة ماهر ، انه كاهي ابو علي قرب مكتبة النهضة ، حيث
تذكي رائحة الدهن الحر المكان ، ويشمها المارون في الشارع ، وليس في هذا اعلان عن المطعم
المذكور ، فقد تحول منذ اكثر من عقد إلى مكتبة تباع انواع الكتب والقرطاسية .

وللشارع من بعد هذا كله سر لا يعرفه الا من ادمن زيارته ، وتردد إلى محلاته
ومكتباته ، فأن اردت معرفة سره فلا عليك الا ان تختار احد ايام نحسك ، التي يكثر فيها
همك ، وتشغلك فيها الوسوس والاحزان ، فتمضي إلى هذا الشارع ، تدلف اليه من اية زاوية
تشاء ، وتتفرج على واجهات محاله ، وتتطلع إلى ما هو معروض على ارضفته ، تتصفح هذا
الكتاب وتصفح ذاك الاديبي ، وتحادث ذلك الصديق الاليف ، فلا تكاد تخرج منه الا وقد
نسيت همومك حتى لو طالت الجبال ارتفاعاً ، والقيت من على ظهرك احزانك وان متلأت

نفسك التياً ، واذا بالبسمة تعلو شفتيك ، والامل يستعيد موقعه من جديد .
 ارأيت أذن ما تحت اسفلت شارع المتنبي من سر ، وما وراء واجهاته من سحر ؟ وهل
 لشارع آخر، مهما كان ، هذا الوجيف المحبب في القلب ، والالفة التي تحرك جوامد الجسد؟!

د. عماد عبد السلام



عيسى علي طالب

اسئلة طرحها الاستاذ الملاك امد الله في عمره عن شارع المتنبي وطلب من رواد هذا الشارع العريق ابداء آراءهم عنه. فأقول تربطني بهذا الشارع صداقة قديمة كانت تشدني اليه وانا صبي عندما كنت ادرس في بغداد وقد انقطعت تلك الصداقة إلى ان جئت إلى بغداد عام ١٩٥٠ فعاودت التجول فيه دون ان اشترى شيئاً منه سوى المجلات القديمة التي طرحها البعض على الارض ومن هذه المجلات اذكر منها مجلة الرسالة والاديب والآداب وغيرها من المجلات وكان سعر المجلة حينذاك عشرون فلساً وبينما في احد المرات وجدت بجانب شخص يقلب تلك المجلات ولربما كان يفتش عن عدد يريده بالذات ولما تطلعت اليه عرفت انه الشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب رحمه الله ، ان لهذا الشارع مكانة خاصة في قلوب الادباء وكان ملتقاهم لذا اقترح من المسؤولين عنه ان يهتموا به ويطوروه كما فعلوا مع سوق الصفارين وغيره وان يزيلوا عنه الاوساخ التي لا تليق بسمعته كما وان كثيراً من الاجانب يزورونه . وشكراً .

عيسى علي طالب (رحمه الله)

احد رواد هذا الشارع ، توفي عام ٢٠٠٢

المهندس عبد المجيد علي المطيري

بدأت حكايتي مع شارع المتنبي منذ دخول الكلية عام ١٩٦٣ حيث بدأت البحث عن مصادر الكتب العلمية لدى الباعة من اصحاب الدكاكين من امثال حسين الفلfli الذي مارس عمل بيع الكتب المستعملة حيث نجد ضالتنا لديه .

اذا فهو تاريخ قديم اولعت به وبالكتاب وظل هذا الولع يجري في دمي على مر السنين وهو يزداد وينمو ويكبر حتى اصبحت لا اجد متعة اكثر من يوم الجمعة في اي مكان غير المتنبي فهو بالنسبة لي

منهل للمعرفة اجد فيه ما اشتهي من الكتب واقابل الاصدقاء الذين لا اراهم خلال الأسبوع الا في هذا اليوم حيث نتفرغ للنكات ونتمتع بشققات ابو ربيع حيث بدأ المزاد وبدأنا معه ذلك التراث الذي ترك الآن لكثرتها المطروح في الارض ، فاذا لم امر بأبي ربيع فأنتي نسيت ذلك اليوم من مفكرتي الأسبوعية شيئاً ما .

ان تقوم الجهات المختصة بمنع مرور السيارات هذا اليوم لأفساح المجال لنا وعدم مضايقتنا بسواق غير ذي اخلاق بالهورن المزعج .

المهندس عبد المجيد علي المطيري

الأستاذ طاهر البياتي

شارع المتنبي ومااروعه ! الشارع التراثي حيث الكتب على شتى اصنافها وفروعها،
قديمها وحديثها وفي مختلف ميادين العلم والمعرفة .

شارع المتنبي يوم الجمعة تظاهرة ثقافية تذكرنا بالعهد العباسي الزاهر في اوج
الثقافة العربية الاسلامية .

وفي يوم الجمعة بالذات يتحول شارع المتنبي إلى خلية نحل حيث يرتاده المثقفون وهواة
جمع الكتب وهي تعرض في المكتبات وتنشر على الارصفة وكل رائد يبحث عن ضالته وما
يتلائم مع ثقافته وما يستطيع جيبه ان يسعفه.

لشارع المتنبي نكهة طيبة لمرتاديه وفيه تسمع بين الحين والحين صوت بائع كتب
يردد شطر بيت لقمة الشعر العربي الا وهو المتنبي :
وخير جليس في الانام كتاب

ادام الله العراق الحبيب وبغداد العزيزة وادام على مر الاجيال قلب بغداد النابض
بالعلم والمعرفة : شارع المتنبي العتيد .

طاهر البياتي

مدرس اللغة الانكليزية

٢٠٠١/١٢/٥

شارع المتنبى شارع الثقافة

عبد الحميد الرشودي

تعود بي الذاكرة إلى ما يقارب الستين عاماً يوم دخلت سوق السراي فاستهوتني رفوف الكتب واكداس المجلات التي كانت تطرح ارضا ايام الجمع وينادى عليها بأسعار زهيدة لا تتجاوز عشرة فلوس فأقتنيت منها ما وسعني الاقتناء ثم تكرر تردادي على سوق السراي وبعد ان اخذت محلات بيع الحقائب وصناعة الاحذية والشربت والكبة تغزو السوق اخذت بعض المكتبات تتخلى عن مواقعها القديمة مؤثرة شارع المتنبى وكان اول المكتبات التي كسرت هذا الطوق وخرجت إلى النور والهواء هي المكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي ثم مكتبة المثنى لصاحبها قاسم محمد الرجب ثم المكتبة الاهلية لصاحبها شمس الدين الحيدري ثم مكتبة المعارف لصاحبها محمد جواد حيدر ثم المكتبة العلمية لصاحبها محمد جواد الكاظمي وتوالى بعد ذلك فتح المكتبات ولم يبق في سوق السراي من المكتبات المهمة سوى مكتبة الزوراء لصاحبها حسين محمود الفلظلي وانجاله من بعده محمد واكرم ، وبذلك يكون مركز الثقل قد تحول من سوق السراي إلى شارع المتنبى فأصبح بحق اسماً على مسمى وقد زاده بهجة وازدهاراً هذه (البسطات) التي تغطي ارضيته ايام الجمع ويطوف بها هواة الكتب وهي بين اعينهم وفي متناول ايديهم ، لقد اصبح يوم الجمعة لكثير من هواة الكتب ، وأنا منهم ، يوم بهجة وسعادة لا يستطيع احدنا ان يغفله او يتناساه مهما تكن شواغله كبيرة .

ومما لا ريب فيه ان اقبال الناس على الكتاب ظاهرة صحية وسلامة فينبغي ان ترعى وتنمى كما ان هذه البسطات تذكرونا بأكشاك الكتب العامة على سياج حديقة الازبكية في القاهرة يقبل عليها المواطنين والسياح وكذلك المكتبات العامة على شاطئ نهر السين في

باريس فعلى امانة بغداد ان ترعى اصحاب هذه المكتبات وتمد اليهم يد المساعدة والرعاية لأن هذا الشارع اصبح يشكل معلم من معالم بغداد الحضارية .

عبد الحميد الرشودي

بغداد ٢٠٠١/١٢/٦

أ. د. علاء الحربي

شارع المتنبي ، المكان الذي اجد فيه نفسي اكثر مما اجدها في اي مكان آخر . ويعود ذلك إلى عشقي اللامحدود للكتب التي اجد فيها متعة جنونية . وحين أقول شارع المتنبي فأني اعني في الوقت نفسه سوق السراي ، الذي يعد بالنسبة للقراء امتداداً طبيعياً للمتنبى ، لقد احببته اول الامر لأنني كنت اذهب اليه لأشترى الدفاتر والقرطاسية في مطلع الستينات. وازداد تعلقي به منذ عام ١٩٦٨ حين اشتريت رواية (كوخ العم توم) التي تتحدث عن معاناة الزوج في الولايات المتحدة الامريكية . ومنذ ذلك الحين وانا لا انقطع عن زيارته يومياً بل اكثر من مرة في اليوم فلم يكن يبعد عن بيتي كثيراً . ولازال ارتاده عدة ايام في الأسبوع على الرغم من انتقالي إلى منطقة بعيدة عنه نسبياً ، ذلك انه المنهل العذب الذي يروي ظمأى ومنجم الذهب الذي حصلت منه على نواذر الكتب والتمين منها . اما جمعة المتنبي ، فأنها اروع ما فيه ، فمنهله يزداد تدفقاً وعذوبة في ذلك اليوم ، الذي تزداد فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . هكذا ارى في الكتاب منهلاً عذباً ومعدناً ثميناً ، ثم ان في جمعة المتنبي فرصة للقاء بعدد غير قليل من رجال الفكر و الأدب والمثقفين الذين لايسمح الظرف والوقت برؤيتهم في الايام الاعتيادية .

اما عن الصورة المستقبلية للشارع فأعتقد ان على امانة بغداد ان تجعله واحداً من الشوارع النموذجية في بغداد في الصورة التي يراها المختصون فيها مناسبة وتسهم في اعادة بناء مكتبة المثنى قلب المتنبي النابض .

أ.د. علاء جاسم الحربي

اختطف أو اختفى منذ العام ٢٠٠٦ و لا
يعرف عنه شيئاً منذ ذلك الحين . . !!!

توفيق التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخ والصديق الاديب فحطان حبيب الملاك :

جهود مباركة ... وانت تبحت في " المتنبي " شارعاً ورمزاً موفقاً لقمة من القمم

العملاقة في الشعر العربي ...

منذ زمن وانت تبحت في هذا الشارع معنى وكلمات ورموز وشخصيات وتاريخ ... فلي

الشرف في ان اكون احد المساهمين في بحثك النبيل هذا بأعتباري احد الذين دخلوا شرنقة

المتنبي ولم يخرجوا منها بائعاً للكتاب وقارئاً وباحثاً ...

صديقي فحطان الملاك :

" المتنبي " علامة مضيئة في ذاكرة المثقف العراقي والعربي ... وحيث متألق على خارطة

بغداد . فهو ملتقى اجيال المثقفين وعرس المبدعين والقراء في يوم الجمعة .. حتى غدا

ملحما ببغداديا مشهورا إلى جانب سوق الغزل وسوق الصفاير وسوق هرج وغيرها الا ان

الميزة التي ينفرد بها هذا الشارع عن سواه ... انه البؤرة التي توحد اجيال المثقفين والقراء والباحثين والطلاب ... ومن ثم فالشارع ليس سوقاً لشراء الكتاب وبيعه كما هي الحال في الاسواق الاخرى ... بل تستطيع ان تعده مؤتمراً اسبوعياً يتبادل فيه الكتاب والباحثين هموم النشر والابداعات الجديدة وقراءة النصوص وهي في طريقها للنشر ... المتبع لحركة القراء والطلب على الكتاب في الشارع وخاصة ايام الجمع ... يستنتج ان الكتاب لازال يشكل همماً من هموم القارئ العراقي لم تلغه هموم الحياة والايقاع المادي المفروض على الناس ويبقى تعطش القارئ العراقي للجديد من مطبوعات كتاب ، مجلة ، صحيفة ، ظاهرة تدعو للفخر والمباهاة ...

" الحاسوب " و " الانترنت " رغم مزاياهما الرائعة في اختصار هذا الكم المعرفي الهائل... ورغم ما قدماه للبشرية والمعرفة على وجه الخصوص الا انها... لم يكونا بديلين عن اللذة التي يعطيها البحث عن الكتاب وتصنيفه ... و اضافته إلى المكتبة ... ولهذا كله سيبقى المتنبي خارطة وقبلة تهفو لها قلوب عشاق الكلمة مؤلفين وباحثين وقراء وطلاب علم على مدار الزمن .

وسيبقى " المتنبي الشاعر " خالداً بال " المتنبي الشارع " ... ومتقمصاً روحه ... في روح رواده وعشاقه الذين يزدادون ... كلما مرت الاجيال ومضت السنوات .

توفيق التميمي

٢ / رمضان / ١٤٢٢هـ

شارع المتنبى

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحة تاريخية

كان يسمى هذا الشارع بشارع الاكمخانة نظرا لوجود فرن للصمون ينتج للجيش (الاكمك معناه الخبز باللغة التركية) . وقد شهدت توزيع الصمون بنفسى فى هذا الشارع . والفرن هو البناية الجديدة التى فىها مكتبة الرباط وحسن حياوى وعدنان وغيرها مقابل مقهى الشابندر .

وفى عام ١٩٣٦ تأسست لجنة برئاسة المرحوم الأديب طه الراوى لتغيير اسماء شوارع بغداد فأعطى اسم شارع المتنبى لكون فىه المطابع وبعض المكتبات ومجلدى الكتب . كما كان فى هذا الشارع فى بداية الخمسينات خيرة اطباء العراق كالمرحوم الدكتور صائب شوكت والمرحوم الدكتور الألوسى اضافة إلى الدكتور الألماني ماكس باشا ماكوفسكى . وفى بداية الشارع والمطلة على شارع الرشيد كانت هناك صيدلية كاكا وصيدلية محمد علقش والتى تحولت إلى اسم صيدلية المراد حيث اشترها الصيدلى جوزيف مراد . ولم يبق سوى الحمام ومنذ زمن بعيد .

ولقد كانت بعض البنايات عبارة عن بيوتات ومنها مازالت لحد الآن والبعض الآخر تغيير إلى عمارات تتناسب وتطور المشاريع ، وفى الآونة الأخيرة حيث تغيرت معالم الشارع إلى مكتبات ضخمة وباعة القرطاسية و الأحبار بالجملة والمفرد . وبدأ ينتعش سوق الجمعة لبيع الكتب وهكذا ازداد اقبال الناس لانتقاء الكتب وبأسعار مناسبة نسبياً كما ان البعض الآخر اخذ يعرض كتبه للبيع .

وفي صباح كل يوم جمعة نشاهد كبار الادباء والشعراء وهم يترددون على هذا الشارع حيث انه موقع لقاءاتهم . وفي ضوء ذلك تعلقت وكالآخرين ان ازور هذا الشارع واطلع على المعروض من الكتب القيمة والنادرة وقد اقتني لي كتاباً او ديوان شعر . وهكذا صار عندي كمنهج يوم الجمعة هو زيارة شارع المتنبي واتوقع ان هذا الشارع سيتطور نحو الافضل بكثير مادام هناك طلب على الكتب وهناك كتب جيدة .
 اتمنى ان يتحقق حلمي بتطور هذا الشارع كما اريد له ان يكون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الستار محمود العزاوي ٨ / ١٢ / ٢٠٠١

خالد جاسم محمد العزاوي

إلى حضرة الاخ قحطان حبيب الملاك المحترم
 بعد التحية والاحترام

ان سوق السراي وشارع المتنبي كانا بمثابة الدخول إلى عالم السحر والخيال إلى عالم الف ليلة وليلة وكليمة ودمنة ، الدخول إلى عالم الاصدقاء الطيبين الحكماء العقلاء الذين احلم ان اكون واحداً منهم ، فمنذ طفولتي وتحديداً في بداية الستينات دخلت اول مرة إلى هذا الشارع واقتنيت قصة علي الزبيق (الشاطر او العيار المصري) ومنذ ذلك اليوم اصبح هذا الشارع يحتل قسماً مهماً في حياتي وأثر في تكوين شخصيتي لا بل حياتي كلها ولم افارقه الا لظروف السفر او لظروف قاهرة اخرى ، الحياة بلا هذا الشارع بشخصه ومكتباته تصبح لا تحتمل وقاسية جداً ، وحتى اصدقائي من غير الخالدين كان لهذا الشارع اثر كبير في اختيارهم واستمرار الصداقة معهم ، فصداقة المبادئ واحلام المدن الفاضلة اقوى من اي صداقة ، اتمنى ان يبقى هذا الشارع ولكن بحلة جديدة لاسيارات تقف

فيه ولا قرطاسية فقط مكتبات ومزادات كتب وامكنة الجلوس (مقاهي) ، فهو روح (هذا الشارع) هذا الشعب بماضيه وحاضره ومستقبله ولا بد من الاعتناء به ، فبغداد لم تعرف الا بمدينة العلم والعلماء .

الكاتب والباحث

خالد جاسم محمد العزاوي

ماجستير احصاء / من اهالي الكرخ

د. صباح محمود

مايعنيه لي صباح الجمعة هو شارع المتنبي ، حيث اقضي على الاقل ثلاث ساعات فيها البي رغباتي الثقافية .

والتقي مع النخبة المثقفة التي تعرف تقديري وحببي لها واشعر انها دائماً بقربي فنتحاور بأريحية بغدادية ، ثم اخرج قصاصة ورق من جيبني فأقرأ عليهم ما نظمته حسب مزاجي من الشعر الشعبي .

وينشدون لي ما نظموه وما حفظوه من شعر ومعلومة لأنهم يعرفون ان هذا هو اكلي وشربي ، وبعد ان اتصفح واشتري ما يعجبني من الكتب ، اناذي على ابي عدنان وابي زينب رفيقي دربي .

وما اتمناه في هذه اللحظة سوى امر واحد هو طول البقاء لظاهرة الجمعة في شارع المتنبي لأنها غذاء فكري لكل الأجيال وخير مرابي . ارجوا ان تحقق دعائنا هذا وتحفض ما هو خير لي يا ربي .

د. صباح محمود

(رحم الله الدكتور صباح ، كان عالماً جليلاً

وأديباً فاضلاً).

ذكريات خاطفة ... عن بغداد

في خضم هذه الظروف المأساوية التي تمر بنا ، وبعد هذه العقود من الحياة التي مرت علينا وعلى وطننا العراق وما شهدته من مآسي وحروب وآخرها هذا الاحتلال الجائر البغيض ... علينا ان لا ننسى مدينتنا الحبيبة بغداد ... عاصمة الخلافة . درة الشرق منبع الفكر والمفكرين ... المكان الذي كان المنطلق للحضارة العربية الاسلامية إلى العالم... بغداد الحب والسلام .. انني عالق بها لأنها حياتي وفكري ... ولأنني قد عشتها طيلة هذه العقود السبعة من العمر مدركاً وواعياً لها عارفاً بأنها كانت ملتقى الرجال والعقول العربية والثقافية والفنية والسياسية ... بغداد تعني دجلة الخير ودجلة الخير تعني بغداد ... وان كانت الاجيال الشابة لم تدرك شيئاً من بغداد وحياتها فأن الواجب علينا ان نعيد لهم بعض من تلك الصور الجميلة لبغداد لأنهم لم يعرفوا ولا يمكن لهم ان يتصوروا بأنه في العشرينات من القرن الماضي كانت هناك صالة رقص في بغداد وكانت هناك صالة ترحلق في شارع الرشيد وكانت المجالس البغدادية لعوائلها منبراً حراً للأفكار وتداولها وكانت مقاصف الليل مرتعاً للانس لشبابها وكانت المسارح ملتقى مثقفها ... وكانت القهوة السويسرية ملتقى الفنانين والادباء والبرازيلية ما اجملها نجلس ونتداول فيها الصحف للقراءة ونتطلع في الوجوه لنجد الكثيرين ممن نعرفهم ... اما شارع ابو نواس فأن هذه الصور القليلة البسيطة هنا تعكس جزءاً من جماليات ذلك الشارع الاثير وسمك المسكوف والحياة فيه والعوائل والجراديع تبقى مبتهجة فيه حتى الصباح ... اما "بارك السعدون" فأن الذي يراه في الصورة الآن يتصور بأنه احد حدائق لندن او باريس ويجد هناك الشباب والشابات يتزحلقون على ارضفته او يتبارون في ركوب الدراجات ... وفي

شوارع الوزيرية الخضراء البهيجة حيث روائح الياسمين والشبو... تجد الطلاب والطالبات يتنزهون مع بعض بأجمل صورة حضارية متقدمة .

ولا يعترضهم احد او يفرض عليهم ما يلبسون لأنهم كانوا الاناقة بذاتها اما دار المعلمين العالية ، كلية التربية الآن فأنها المكان الذي تجمعت فيه كل العقول الادبية في الاربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي واخرجت نخبة رائعة من المبدعين الشعراء والمثقفين الذين كان ومازال اثرهم في الثقافة العربية بصورة عامة حتى يومنا وآخرهم الشاعر الكبيرة نازك الملائكة التي غادرتنا قبل فترة قصيرة .

نعم .. لقد انجبت بغداد عمالقة الادب العربي ولكننا وللأسف الشديد نغمت حق رجالتنا الكبار الذين رقدوا الحضارة العربية والعراق بفكرهم الثاقب والبصير وأوجدوا مدارس في التاريخ واللغة والأدب يفخر بها الفكر العربي في يومنا هذا ، ومن المؤسف اننا في زخم هذه الأحداث المساوية التي مرت بنا وما نزال نعيشها قد نسينا اولئك الرجال وأثرهم في ارساء قواعد اساسية للمعرفة في هذا البلد . رجال العلم يشهد بأثرهم ونحن لا نأتي على ذكر احد منهم ... واحد منهم الدكتور عبد الجبار عبد الله ، رئيس جامعة بغداد والذي ماتزال نظريته في الانواء الجوية والفلك تدرس في الجامعات الامريكية وبخاصة معهد MIT الامريكي ... وللأسف الشديد .. من يتذكره الآن ؟؟؟ ان هذه الحملة الشرسة التي تشن علينا اليوم تريدنا ان ننسى تاريخنا ، ننسى رجالتنا ، ننسى صحبتنا ونبقى ندور في فلك القوة العالمية المحتلة التي تريدنا ان نبقى نعيش في دوامة القتل والتهجير والطائفية البغيضة ... اننا اليوم امام تحد كبير في مواجهة هذه القوى الشرسة .. اما ان نقف ونستفيق او نسحق ... فأيهما نختار ؟؟ علينا ان نخطو خطواتنا التالية بثبات ويقين ومعرفة وارادة حرة ...

اما دور السينما في بغداد فأنها كانت خلية ، كل الشباب والشابات وعوائل بغداد ترتادها تبدأ من حفلات الصباح ولا تنتهي الا عند منتصف الليل حيث يشاهد فيها احدث الافلام العربية والعالمية والسينما مثلما يقول النقاد هي مرآة الشعوب اي انها تعكس الحياة

للشعوب وهي كانت بالفعل انبعاثاً للحياة الفكرية والثقافية للبلد حيث انتشرت في كل مدينة من مدنه واليوم حتى دور السينما اغلقت ... فمن يعكس هذه الحياة السوداوية التي نعيشها اليوم؟ ...

لقد كانت المدينة تزدهر في ايامنا ، ماذا بأمكناني ان احدثك عنها يا ولدي غير ان اقتطف بعضاً من مشاعر رجل عربي احب هذه المدينة حيث عاش فيها في الثلاثينيات يدرس خلالها درس الادب العربي والمستقبل وكان درسه من الدروس الشيقة في تلك الدار دار المعلمين العالية الدار التي كانت منبراً للفكر ورجال الفكر في البلد وخرجت جمهرة كبيرة من رجال الثقافة والادب والشعر والسياسة إنه الدكتور زكي مبارك الذي كتب خيرة كتبه في السنة التي قضاها في التدريس في بغداد...

يقول الدكتور زكي مبارك في ليلاه المريضة في العراق ص ٨٥ :

نحن الآن في بغداد في ليلة ما رأى الرشيد مثلها وان تعب الواصفون في التذكير بليالي الرشيد هي ليلة بغدادية لا قاهرية لأن القاهرة حيث تعرف امثال هذه الليلة تنقلها نقلاً عن الغرب ويختلف حولها الفقهاء وبغداد تعرف الليالي الساهرة عن الادباء الجدود وهي ليلة سيذكرها كل من عاشها ورآها وستحتل اقطار ذهنه إلى اللحظة التي يعاني فيها سكرات الموت ، هي ليلة الفتوة العراقية وتذكر الجاهلية بأن الشعب الطروب لن يموت ، نعم ياسيدي الدكتور المبارك شعب العراق شعب طروب وشعب حي فمهما تعصف به عواتي الزمن فإنه يبقى محافظاً على حيويته وروحه الحية تبقى ولادة كلمته ولحنه لرجال سيعيدون الحياة والطرب وليسمع العالم...

نعم ! هو يسميه بالشعب الطروب لأن الدكتور قد شاهد ليالي في بغداد لم ينعم بمثلها في القاهرة ، لأن ليالي بغداد ، ليال اصيلة وطربها وانسها اصيل ... وهكذا نعم الرجل بليالي لم يشهد مثلها ، لا في القاهرة ، ولا في اي مكان آخر زاره...

نعم ! يا ولدي ، عندما اتى الدكتور المبارك إلى بغداد ، كانت الايام هي ايام

الثلاثينات، وحيث ابهة الانسان والمكان كانتا من صفات الايام والرجال في بغداد ...

نعم ! ليس هو الرجل الاديب الطيب الذي كتب رائعته في بغداد " ليلي المريضة في

الطرق " أليس هو القائل :

يقولون ليلي في العراق مريضة فياليتني كنت الطبيب مداويا

ليس هو من كتب كتابه الرائع : من وحي بغداد

وهو الذي الهمه سحر بغداد الادبي فكتب كتابه " في التصوف الاسلامي " وزاده ذلك الحب وكتب عبقرية الشريف الرضي ، وماذا تقول بعد يا سيدي ، وليس آخرأ و أخيراً ما كتبه المرحوم عباس بغدادي عن ذكرياته عن بغداد في العشرينات وعن شارع المتنبّي ، وإلى اين تريدني ان اعود...؟ إلى الخليفة ابي جعفر المنصور؟ ام هارون الرشيد ؟ ام المأمون ؟ اي زمن من ازمنة بغداد الخالدة تريدني ان احدثك عنه ؟ والحديث عن بغداد يطول .. وان اردت ان تعرف وتقرأ عن تاريخ بغداد فأقرأ ما خطه الخطيب البغدادي عن تاريخ بغداد في مجلداته الضخمة المعروفة ... من اين استقي المعلومة والوحي والالهام ، وبغداد ولياليها كلها الهام و وحي ... انك قد عشت يا بني الاربعينات والخمسينات ، وها انت لاتزال تعيش بغداد وأيامها ... تتذكر دور السينما ، وانا اتذكر المسارح ودور اللهو والمقاهي ... تتذكر انت شارع الرشيد ، وأنا كنت في ذلك الزمان اتكئ على عصاي واجلس في مكتبة مكنزي ابحث عن الجديد من الكتب الواردة من الغرب والصحف الاجنبية ... انت تذهب إلى مدرستك الغربية المتوسطة .. وأنا اجلس في السويس كافيه (المقهى السويسري) ، حيث كانت ملتقى الادباء والفنانين النخبة ، جواد سليم ، فائق حسن ، عبد الملك نوري ، سعيد علي مظلوم ، حسين مردان ... كل من تريد ان تتذكره من ذلك الجيل المتميز الذي كان اللبنة الحقيقية للثقافة العراقية في تلك المقهى ، حيث كنا نجلس ونحتسي القهوة مع الحليب او البيرة الثلجة او دوندرمة كاساته ، وتتردد عليه في نفس الوقت سيدات محترمات مثقفات من كل الاعمار وعلى جانب ذلك وضع كراموفون كهربائي ومعه اسطوانات لباخ وبراهمز وشايكوفسكي وغيرهم ، ومن يريد ان يسمعها ، يضع اسطوانته المفضلة ، وبهدوء يجلس ويسمع ، فهل يمكن لك ان تتصور ، يا ولدي ، مقهى بهذه الشاعرية ، كأنك تجلس

في احد مقاهي باريس...!! وكانت هناك إلى جانب سويس كافييه ، القهوة البرازيلية ، وهي الملتقى لجمهور اكبر من النخبة التي كانت تزهو في بغداد ، وتزهو في مجال الادب والعلم ، وحيث كانت السيدة ناهدة الحريري مديرة دار الفنون ورئيسة جماعة بغداد ، والشابة المحامية الاولى صبيحة الشيخ داود اسماً فريداً خرج من اركان كلية الحقوق ليكون اول اسم لمحامية في العراق ... وحيث كانت السيدة خالدة الرحال اول رئيسة تحرير لمجلة عراقية منذ العشرينات ، وان كان للثورة معنى في نفوس اهل بغداد والعراقيين، فأنها كانت ثورة العشرين التي هبت النفوس ضد المستعمرين الانكليز... وان اردت يا ولدي ان تعرف اكثر ، فأقرأ ما كتبه الزيات عن ايام بغداد في الثلاثينات ..



صبيحة الشيخ داود

نعم ! ياسيدي اتذكر الكثير من ذلك ... اتذكر الباب الشرقي

حيث كانت تنتصب سينما غازي بفخامتها مقتحمة الفضاء الكبير امامها ، وحيث كانت



حبيب الملاك من أوائل السينمائيين

حديقة الامة متنزها يؤمه الناس ليستمتعوا بزهوره ورياحينه ، وحيث كانت سينما النجوم ، منتصبة في مواجهة سينما غازي لتعلن ولادة جديدة لدار سينما تعود إلى رجل اقتحم المدينة في عز شبابها ليكون من أوائل السينمائيين العراقيين ذلك القادم من البصرة هو حبيب الملاك ... الرجل الذي كانت تزخر القاهرة وصحفها بالكتابة عنه وعن اسهاماته في السينما العراقية والعربية ، وحيث كانت هناك سينما تاج وديانا ودار السلام وهي سبع او ثمانى دور سينما تملأ الساحة والشارع وباب

الشرقي كانت الليالي تعج بالناس ، والناس تملأ الشوارع، والدور الثاني في السينما كان دوراً خاصاً يؤمه المثقفون والعائلات ... نعم ! يا سيدي ... كنا نخرج بعد انتهاء هذا الدور في الساعة الثانية عشرة والنصف ونعود إلى دورنا سيراً على الاقدام ، ولا نصلها الا بعد الساعة الواحدة ... وكانت في ليالي الصيف الحفلات الشهرية لسيدة الطرب ام كلثوم ، حيث كان الناس في كل ارجاء الوطن العربي ينتظرون تلك الليلة المشهورة، وحيث يجتمع ويتلاقى العرب جميعاً على اكسير الغناء وذلك الصوت الرخيم وعود القصبجي وكلمات رامي وغيره من الشعراء...

كنا نجلس في الحدائق وعلى سطوح الدور حيث كنا ننام في الصيف... ننتظر بدء الحفلة في المذياع ... وفي اليوم الثاني كنت تسمع ذاك الصوت في الحيدر خانة يخرج من ذلك المحل للتسجيلات محلات حقمافجي ، وكان يرحمه الله عبد الله يتمشى في باب المحل يسبح بمسبحته ناسياً نفسه وهو يطرب في النهار بعد الليل لذلك الصوت الرخيم ... نعم! يا ولدي انه شعب طروب حي .. إلى اين تريد ان تقودني ...؟ يفيض الفكر وهو يتذكر الايام والليالي الخوالي ، حيث يتذكر صوت سليمة باشا ، وهي تنعى بصوتها الجميل القوي الحزين ملك العراق فيصل الاول عند وفاته بأسطوانة واغنية نادرة ما زلت احتفظ بها



المرحوم محمد القبانجي (مطرب العراق الأول).

وهي مكسورة ، وتقول الابيات :

مات الذي رفع اللواء

وأين انت مني ، وأنا منك ، حيث يصدح صوت المرحوم القبانجي في ليالي بغداد
ومؤتمر القاهرة الموسيقي ... وأين انت مني ، حيث كان الرصافي يكابد الظلم والحيف
السياسي الذي اصابه بسبب مواقفه السياسية ...

وأين انت من وزير المعارف الشيخ الشاعر ، الاديب ، السياسي الوطني محمد باقر
الشبيبي وبساطته في لقاء مواطنيه ... وأين انت مني ومن الكرخي ، معروف وهو يردد
بلغته البغدادية الشهية (مجرشته) ليثير الجدل حولها في مجالس بغداد ... أو داهية
العراق ياسين الهاشمي ، والذي وصفته مس بل بأنه الداهية الذي لا يمكن فهمه في السياسة
وهو رجل العراق ...

نعم ! كانت بغداد تزخر بأيامها ولياليها ، برجالها ومجالسها ، وان اردت ان تعرف
الكثير عن تلك المجالس فأرجع إلى كتاب الدروبي " مجالس بغداد " حيث تجد كل تفصيل
عن تلك المجالس الاجتماعية الادبية ، وهي التي جعلت الدكتور زكي مبارك والزيات
والسنهوري باشا يحبون ويعجبون ببغداد واهالي بغداد ...

كانت بغداد هي الوجهة التي يتوجه لها الفنانون العرب لأثبات وجودهم ونيل اعجاب
اهل هذه المدينة في الطرب والمسرح والثقافة ... لذلك كانوا يبذلون جهودهم من اجل
عرض بضاعتهم الثقافية في هذه المدينة ، فلا عجب ان يأتي المسرحي الاول جورج ابيض
في العشرينات هو وفرقته للعمل في بغداد ، ويأتي يوسف وهبي وفرقته ، فرقة المسرح الفني
، والفنانة الكبيرة فاطمة رشدي ... والكثير ، الكثير منهم ... وليس آخره سيدة الطرب ام
كلثوم ... حيث تغنى بها شعراء العراق الكبار .

نعم ! يا سيدي ... لقد تمكنت من ان ارى الفنان يوسف وهبي في الخمسينات هو
وفرقته يعرض مسرحياته على قاعة الملك فيصل ، او قاعة الشعب الآن في باب المعظم ...
وحيث كنا ننهر لصوته المسرحي ، وهو يتذكر ايامه السالفة لخروجه من السجن " كان

ليه بنت من عشرين سنة ، يا ترى هيه فين دلوقت " وتشاء المصادفات ان تكون قريبة منه... اتذكر بدايات المطربة صباح في الاربعينات وفلمها الذي ظل يعرض لشهور عديدة في سينما الرشيد " القلب له واحد " و" هذا ما جناه ابي " ... اتذكر الصوت الذي يسميه عبد الوهاب " مثل الالماز المكسر " ، اسمهان ، وكيف ضجت الدنيا عند وفاتها بجاذبة سيارة وقالوا بأن الملك كان وراء اغتيالها " اي الملك فاروق " وفلمها الذي لا ينسى " غرام وانتقام " ... كنت امضي في طريقي في شارع الرشيد وأرى الحاج خليل بقامته الطويلة وصوته الجهوري وهو يجلس خلف منضدته في قهوته " قهوة الحاج خليل " ... ومن لا يعرف الحاج خليل في ذلك



الحاج خليل في ملعب الكشافة يتوسط الجمهور الأثيق

الزمان ، فهو اضافة لكونه معلماً من معالم بغداد وشخصية من شخصياتها الشعبية ، كان من مشجعي كرة القدم ، وكان يجلس في ساحة الكشافة ليشاهد لعبة كرة القدم مع محبي الكرة بكامل قيافته، عباءته وزبونه وجراويلته البغدادية المميزة ... إضافة لكون مقهاه كانت ملتقى كافة الناس ومن كافة الطبقات من الاساتذة ، والطلاب القادمين من كافة ارجاء العراق الذين يتركون عنوانهم على المقهى حتى تصل رسائلهم من الاهل وحوالاتهم، وكل عابر سبيل ... واذا انت جالس في مقهاه يمر عليك مسرعاً في شارع الرشيد " خليلو القزم " بمشيته المعهودة ، ولا يتركه الحاج خليل الا ويمازه ... كان يترك صينية الدخل وحدها على الطاولة وكل من يخرج يضع " العشرة فلوس " ، ولا أحد يفكر في أن يمد يده

ويأخذ منها شيئاً ... وفي المساء كانت تأتي صينية العشاء من البيت تكفي لما لا يقل عن عشرة أشخاص ويجتمع حولها كل من بقي في القهوة ، أو من لا يجد العشاء في تلك الليلة... لم يكن في ذلك الوقت تمثال الرصافي منتصباً في الساحة مثلما هو الآن ... بل كان راقداً على الارض معدماً، حاربه الدنيا مثلما حاربه الناس واتهموه بالكفر والزندقة وهو ابعد انسان عنها ... كانت هناك سينما رويال ، وبعد ذلك سينما الحمراء التي اصبحت في الخمسينات سينما القاهرة وهي الآن موقف سيارات... كانت هناك حياة في ذلك الشارع وكان الحاج زباله صاحب اشهر محل لبيع الشربت حتى الصباح يسقي الغادين والرائحين شربته اللذيذ ، ومع قطعة كيك يصبح عشاءً لبعض الاشخاص ، كنت تجد الناس دوماً متجمهرين عند الحاج زباله وأضويته تنير الشارع ، وكان الناس فرحين سعداء بوقوفهم وتلاقيهم هناك في منتصف الليل عند الحاج زباله ... ومن بإمكانه ان يسقيهم مثل ذلك الشربت الزلال في بغداد غير الحاج زباله ...

ماذا نستذكر بعد يابني ، وهذه بعض من الذكريات التي تجمعا ، جيلي وجيلك ... جيلي الذي شهد العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، الجيل الذي يتذكر ثورة العشرين، ويتذكر مصرع عبد الحسن السعدون ويتذكر ياسين الهاشمي والمدفعي والزهاوي والكرملي ونوري ثابت والملا عبود الكرخي ويتذكر حوادث لا تنسى من امثال انقلاب بكر صدقي والضباط الاربعة ومشهد الفرهود وحركة رشيد عالي والحرب العالمية الثانية وشخصيات واحداث لا تنتهي من حياة هذه المدينة ، وجيلك الذي وعى بعد الحرب العالمية الثانية وشهد وثبة كانون ضد معاهدة ٤٨ صالح جبر - بيضن معاهدة بورتسموث التي ارغم الطلاب بمظاهراتهم الصاخبة الحكومة على ألغائها ، وجيلكم الذي شهد وشارك في انتفاضة ٥٢ وثورة تموز ٥٨ . (وأين يابني تتصور كنا نقضي العصر والمساء ؟ بشارع ابي نؤاس حيث كانت "الجراديفغ" على ضفة النهر بالعشرات ، مرتعاً للانس والطرب والراحة) . وحيث بارك السعدون ملتقى الاحباب شابات وشباب الذين يلهون بالترحلق على ارضيته الناعمة، لقد كانت تلك الحديقة الغناء في قلب بغداد ، متنزهاً رائعاً وجميلاً كلها ظلال

واشجار وارفة وزهور ورياحين لا تمتد اليها يد ولا تعبت بها ... زهور من كل مكان ... لقد كانت امانة العاصمة تحتفل بالربيع ، بأن تفتح مشاتلها ومنتزهاتها لكل هاو للزهور وتملاً ارسفة الشوارع بسنادين الداودي الجميل ... وتعزف موسيقى الشرطة محتفلة بقدم الربيع وعيد المرور ...



استعراض شرطة
المرور في شارع
الرشيد ببغداد ١٩٥٢

اما اذا اردنا ان نبتعد قليلاً عن هذا الطريق ، فنحن نلج شارع الرشيد في المساء متوجهين إلى فندق كونتيننتال فوق مكتبة مكنزي حيث نجد هناك الفرقة الموسيقية تعزف الحان الفالس ، يرقص الراقصون عليها حتى ساعات الصباح ، ومن بعد ذلك يمكن الذهاب إلى محلة الميدان حيث فندق الجواهري ومسرحه للغناء والرقص ...

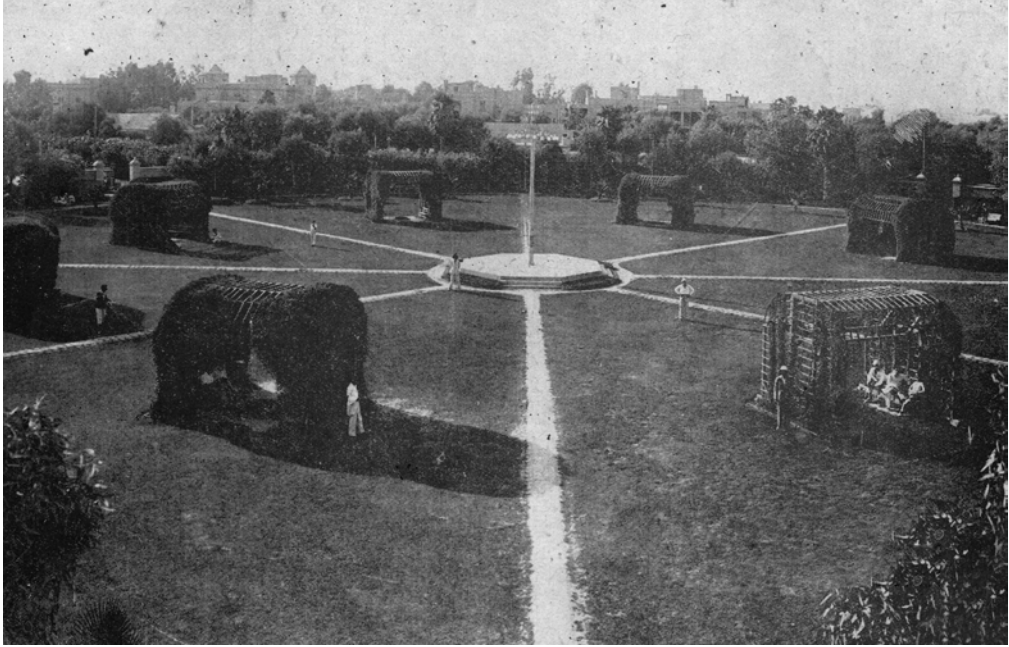
وان اردت ان اسرد عليك يا بني واحداثك عما كان يحصل من مناظرات ومساحلات ادبية فهي لا تحصى ، واولها وليس آخرها " المناظرات الريحانية بين امين الريحاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء " صاحب المثل العليا في الاسلام والمؤلفات التي لا تحصى في الادب والشريعة والفقه والصحافة ، وصاحب مجلة الاعتدال ... لقد كانت من الروعة بحيث انها تملي نفسها عليك وتريك شيوخ العصر كيف يتناظرون وهم في كل بلد من بلاد العرب ، واحد في لبنان والآخر في النجف الأشرف ... كانت السمة في التقارب الديني والروحي بين عالمين ودينين متوحدين ، وكانت الروح الحية العربية التي توهب قوتها لمن ولد فيها

وتشبع بحبها واستلهمها بكل قوتها ... لا يمكن ان نوجز ادب آخر غير الادب العربي بمثل تلك المناظرات ...

ودعني أقول لك لاحقاً المساجلات التي جرت بين اديب مصر احمد حسن الزيات صاحب الرسالة والترجمة الرائعة " لآلام فارتير " رائعة غوثة و"روفائيل" للشاعر لامارتين والشيخ الاستاذ محمد بهجت الاثري صاحب كتاب الارب في آداب العرب والعديد من المؤلفات، ولو عرف الشباب اليوم عما كانوا يتناقشون لتعجب من ذلك الادب الرفيع الذي عنه يكتبون ، كل بأسلوبه الانيق المنمق، هل يمكن لك ان تتصور بأن ما اثار فكر وقلم الشيخ الاثري في الزيات لا يعدو كونه مقالة كتبها بأسلوبه الرفيع عن مأساة الشاعر وضاح، ويا ليت ادبائنا اليوم يعودون إلى امهات التراث ليقرأوا شيئاً عن هذه القصص ... وان كانت القصة صحيحة او مبالغ فيها ، فإن كل واحد منهم له رأي عليه ان يعرضه بالصورة التي يراها ويعرفها ، والزيات يعرضها بأسلوبه القصصي الرائع مضيفاً لها بعض التزيينات النثرية الفنية ، والأثري يكتب له ليس متهجماً عليه ولا على الطريقة التي يرويها ، بل هو مختلف معه حول القصة ،، جذورها وصحتها ... ومهما يكن الاختلاف ، فإنه قطع من النثر والأدب المسبوك لرجال وهبوا حياتهم للقلم والفكر والأدب وبتواضع العالم العارف بموقعه في الحياة وبمكانة الأدب بين الناس ... ولقد نشرت هذه المساجلة في كراس سنة ١٩٣٥، دامت صلات المودة بين الكاتبين موصولة ، تجدد وشائجها كل سنة في اثناء اجتماعات مجمع اللغة العربية في القاهرة وعلى صفحات الرسالة التي كانت تزين اعداد منها بقصائد ومقالات الاثري ... وان اردت ان تطلع عليها ، فبأمكانك البحث عن هذا الكراس او العودة إلى كتاب السيد جمال الدين الألوسي عن " ادب الزيات في العراق " ...

وهل يمكن لك يا ولدي ان تتصور صالة رقص ، او حلبة تزلح في بغداد ، الآن ؟ لقد كانت هناك صالة رقص في شارع الرشيد قرب بناية اوروزدي باك الآن، سيد سلطان علي في العشرينات ، وهناك حلبة تزلح في برك السعدون " حدائق السعدون " الآن او ما بقي منها ، حيث يتزلح الشباب skating شباب وشابات بكل حرية وادب ، ويستمتعون

بالحياة، وهناك تراهم ينطلقون على دراجاتهم الهوائية بفرح وسعادة يتجولون، وحدائق السعدون كانت عبارة عن جنينة كما نشاهدها في الصورة، ونشاهد مراقبي الامانة وعمال



الزراعة بملا بسهم الانيقة وقبعاتهم يهتمون بكل شيء وبأدب وبخلق رفيع ... حياة انس وبهجة، وحياة شعب طروب يحب الحياة، تملأ الحيوية نفسه، وروحه الحية تنطلق في رحاب الحياة ... شعب طروب، يحب الحياة، والوطن والارض وليس غريباً عنه ان يبقى متشبثاً بها، مدافعاً عنها بكل قوة وايمان ... شعب يعرف المعنى للروح الوطنية " الروح الحية " قبل كل شيء ... ويدرك بأن هذه الروح الحية تبقى في نفسه برغم عاتيات الدهر، وهجوم التتر والامريكان عليه ... نعم! يا ولدي، هكذا ولدنا وهكذا عشنا، وهكذا سنبقى دوماً متشبثين بمثلنا وحبنا للحياة الآمنة الحرة لبلدنا ... هكذا هو العراق، يا ولدي... هكذا هو الشعب الحي الطروب وان يتحرك، فإنه يتحرك بقوة وثبات ويتحرك بوعي وحرية وثقة وايمان ... لأنه يعرف بأن له مكانه على هذه الارض، وله رسالة، وله طريقه في الحياة ... ولن تقف في وجهه او توقفه هجمات التتر للقرن العشرين القادمة عبر البحار والمحيطات لتمحو الوجه الحضاري الانساني للعراق... بل وان العراق والعراقيين هم الذين

سيوقفون هذه الهجمة الوحشية على بلدان العالم الثالث ، وسيتعلم العم سام الدرس من العراقيين ، ويتعلم ان يتوقف عند حدوده وان لا يفكر بأمبراطورية الشر التي يريد لها ان تسيطر على العالم وتستغل موارده ... ان كانت بريطانيا لم تتعلم من دروسها في ثورة العشرين ، فأنها اليوم ستتعلم الدرس الجديد من العراقيين في القرن الواحد والعشرين ، وان غداً لناظره قريب .



ملاحظات عابرة من شهر تموز ١٩٩٨

- لا نعرف لماذا اصبحت حتى شرطة المرور تتدخل في الشارع ، وتختار يوماً معيناً لنزع اهل الكتب والبسطات من افتراش الارض وعرض الكتب ...؟
- ازداد عدد النشالة " البريكية " في الشارع ، وهم يتجولون يوم الجمعة صباحاً بكل صفاقة وينشلون الناس في وضح النهار .. ولا من معين للناس في هذا الصخب .. وفي احد المرات نشلوا مراسلاً اجنبياً وكادت تصبح فضيحة في الشارع .
- ازدادت هموم الباعة مع تقادم الزمن وكل واحد يريد ان يبقى محترماً ويبتعد عن المصائب .
- انتقلت مكتبة النهضة من مكانها إلى مكان آخر اصغر ، بعد ان اصر صاحب البناء على اخلائها .
- انتقلت المكتبة العصرية إلى مكان صغير .
- ومع هذا وبرغم كل الظروف ، ازدادت المكتبات في الشارع وفتحت ابوابها ، مكتبة عدنان ، القيروان ، الرباط ... وهذا بعض من بشائر الخير للشارع .
- توفي صديقنا وعزيزنا السيد يوسف هاشم رزين ، ولقد كان واحداً من رواد الشارع ومكتبته فاخرة بكل نفيس من نفائس الكتب .
- ازداد اهتمام الاعلام بالشارع ، فأخذنا نشاهد الصحفيين والصحافيات الفاتنات يتجولن ، يبحثن عن المتنبي في زوايا الشارع وبدأ برنامج لطيف (في شارع المتنبي) يبتث جولاته في قناة العراق الفضائية ويجري لقاءات لطيفة مع رواد الشارع .

ناس من بلدنا

سألني اديب وكاتب مرموق : لم تصر وتستمر على نفس المنوال في الكتابة ؟ الناس تضجر من مثل هذه الكتابات... كتاباتك مثل " ناس من بلدنا " اصبحت قديمة وهي غير مستساغة من قبل شبابنا وشاباتنا ، اكتب مثلما يكتب ذلك الكاتب المرموق عن "ميثوشكا" او " ثيروشكا " او عن اليابان او الهند ، عن نساء تلك البلدان وتجربتك معهن ...! ضحكت ونظرت إلى صاحبي وهو يستمر في نقدي وتجريحي لأنني اصر على ان اكتب عن " ام عباس" الأم لسبعة شبان في الجبهة ، عن مشاعرها ، عن مثل هذه المرأة النادرة التي لاقيتها في احد سيارات الاجرة من الكاظمية وسرنا معاً إلى باب المعظم ، وليس في مترو براغ او ناطحات سحب طوكيو ... انها امرأة مسنة من بلدنا ، تتحدث بقوة وفخر وصراحة ، امرأة طيبة قلبها مثل ما يقول المثل لسانها ، وهي اضافة لذلك امرأة بسيطة من بلدنا .. وهي ليست "ميثوشكا" او " ثيروشكا " اللاتي لسن من بلدنا ... انني اكتب عن اناس قد ارتبطت حياتي بهم ، وهم ناس اصلاء من بلدنا .. وهم يمثلون الحقيقة الناصعة لاناس من بلدنا وهم المكنونات الحقيقة للحياة في بلدنا .. فما الفائدة التي اجنيها ، او الحقيقة التي استمتع بها، وأنا أصف فتاة التقيتها بصورة عابرة في الباص في براغ ... ومن هي هذه الفتاة ؟ الا يجوز ، او الا يمكنني ان التقى بمثل هذه الفتاة في الباص ، او في الطريق في بلدنا ، واكتب عن سها او نهى او جميلة او اي فتاة من بلدنا ، بدلاً من "ثيروشكا" التي ليست من بلدنا ؟ ومن بعد : اين اصبح هذا الكاتب البعيد من بلدنا ؟ واين حل الدهر بميثوشكا او ثيروشكا اللتين هما امراتين ليستا من بلدنا ...؟ ومن بعد فأنا للمحلة او الشارع والزقاق اثر في نفسي ، فقد عشت وترعرعت في مدينة قديمة وعريقة ، في درابيتها وبيوتها المطلة على نهر العشار، سبحت في مياهها ، تسلقت نخيلها وطرت فوق سعفها ...! الا تشكل كل هذه الامور فكر الرجل في الحياة ؟ ومن اين نتعلم ، ان لم نتعلم من " حوارى " وازقة وناس بلدنا...؟

الحريق ... الجمعة ٢٠ / ٨ / ١٩٩٩

ماذا حدث اليوم...؟ في هذا الصباح... وفي شارع المتنبّي...؟ وان كنا نتحدث، او تحدثت
 المأساة التي يواجهها الكتاب في زمن الحصار هذا، فأن صورة المأساة لم تتجسد مثلما تجسدت
 في هذا الصباح...! صباح، كان لي كأني صباح، ولكن لم يكن كذلك بالنسبة إلى شارع
 المتنبّي... ففي الساعات الاولى، بدأت خيوط المأساة، وبدأت السنة اللهب والدخان تتصاعد
 من اكبر صرح ثقافي للشارع، من مكتبة المثني، وبدأ الحريق يلتهم كل شيء... التهم ذلك
 الوجود، وذلك الصرح الثقافي لم يترك فيها مجالاً لرجال الاطفاء ان يفعلوا شيئاً سوى
 ان ينقضوا على البقية الباقية من الرماد، والرفوف والكتب... وان التهمت السنة النار
 الرفوف والكتب، فأن خراطيم المياه قد اتت على البقية الباقية منها... واتت على كل
 محتوياتها... فهل ياترى كان ذلك قضاءً وقدرًا، ام انه بفعل فاعل...؟ ربما الايام ستكشف
 لنا ذلك.



ليل بغداد

ياليل بغداد الجميل ... الجميل

لاتختفي عني وراء الاصيل

في الحب لم يشفى فؤادي العليل

ليل النواصي الليل الهوى

يامن بهواه قلبي كوى

الا تسليني؟؟

ليل بغداد الجميل الجميل

وقد كنت اهواه بأوج الصبا

وكنت اشكو الهوى لما صبي

بطرفه الاكل مثل الضبي

قلبا ولم يرأف بمقتول



ياليل بغداد لأنت المنى
 اشكو الاسى في غربتي والضنى
 صرت غريباً حين غاب الهنا
 اذ غاب في المشيب مني الشباب
 ولم يعد ينفع عندي الخضاب
 ليس سوى الوحشة لي من صديق
 وما سوى الدموع من رفيق
 الست في الانس بمأهول ؟؟؟
 كنت اياليل لحين السحر
 بين غناء الموج فوق الضفاف
 ينساب عذباً في مروج الزهر
 فيالها من اغنيات لطاف
 ويالها اشعة من درر
 ينثرها القمر
 في مجلس ينثر احلى السمر ...
 في مسمع العشاق
 عراق ... ياعراق ...
 اغلى من القلب
 ومن عيني .. يا عراق ...
 ارقص نسيم الصبح بين الرياض
 من الاسى قلبك خالي الوفاض
 لست مريضا بالعيون المراض
 مثلي واحزاني طوال عراض
 ومن سوى الحبيب

يسقيني
دمعي وآهاتي؟؟
ابكي على احلى حبيباتي
تبكي جراحاتي
معي دماً كالطفل لا يكف عن البكاء
نبكي على شواطئ
من نضار
نعبت فيها
بالحصى والمجار
لا اعرف الليل بها والنهار
هما للانسي احلى مدار
فهل تعود الفرحة العارمة؟
وهل ستصحوا الانفس الهائمة
ويلتقي الاحباب
في مجالس السمر
ويضحك القمر
مطرزاً بضوئه
ثوباً من الزهر
وهل سينفض عنه ثوب الغيوم
في ضفة يعوم
ضياؤه ونحن بعد لوعة الفراق
كأننا لنوره الرقراق في سباق
عراق يا عراق

اغلى من القلب ومن عيني يا عراق

نجوس في الاحلام

ونعبر الظلام

إلى ضفاف النور

ملاءة خضراء

القت عليها شجرات الحور

عراق .. يا عراق

اغلى من القلب ومن عيني

يا عراق



الاثنين الاسود ٢٠٧/٣/٥

هل يمكن للذاكرة ان تمحي هذا التاريخ ؟ ان كانت مكتبة المثني قد احترقت في صبيحة الجمعة ٢٠ / ٨ / ١٩٩٩ قبل نهاية القرن العشرين وكانت الكارثة ... فأن الشارع قد فجر صباح هذا اليوم في الساعة العاشرة والنصف والتهمت النيران المكتبات العريقة وكتبها واصحابها ، لم نشهد قبل هذا اليوم في حياتنا مثل هذه اللحظات ، كنا نجلس سوية نحتمي الشاي ، نتسامر ونضحك وبعد ان غادرت عدنان بدقائق اهتزت ارض شارع المتني بذلك الانفجار المروع .. لم نكن نتصور اننا لن نجد احداً منهم او اثرأ لهم ... فالنار قد التهمتهم مع كتبهم ، عشرات المكتبات احترقت واحترق اصحابها ... عشرات الالوف من الكتب ولم يبق لها اثر .. سيارة محملة بالمتفجرات والغاز احترقت المكان ... وتركت اثرأ في الارض لحفرة يزيد عمقها على المترين .. وعرضها اكثر من خمسة امتار وكأنه صاروخ ينزل من السماء.... بقينا نبحث بين الانقاض .. نبحث عن اثر لهم ... على شيء يدلنا عليهم... كنت قد وصلت الميدان ... عائداً إلى مكتبي عند حدوث الانفجار ... واهتزت الارض والمباني بقوة الانفجار... وكان زلزالاً قد هز المدينة ورجها ... بقيت واقفاً في مكاني... نظرت حولي لأرى التراب يتصاعد من المباني العتيقة ، نظرت إلى الخلف ، رأيت الدخان يتصاعد ، انه الشارع... وانه المكان استعدت انفاسي وعدت مسرعاً اليه ... النار تتصاعد من كل زوايا القيصرية... وتخرج من المكتبات ... الناس تتراكم ... وبدأت سيارات الاطفاء بالوصول ... بدأت معها معركة مع النيران ... لكن النار كانت اسرع واقوى .. بسرعة هائلة انتشرت وتساقطت المباني... احترق الشارع ... احترق الناس واحترقت الكتب ... الصدمة جعلتني اقف بوجوم... لا اصدق ما ارى ... ساعة .. ساعتين .. ثلاث ساعات تمر .. والنيران والدخان يتصاعدان ... معركة بين رجل الاطفاء والنار ... فهذه كتب واوراق مستعملة ...

وهناك بشر بين هذه الاوراق المستعملة ... طوقت المنطقة .. ولا احد يستطيع ان يتقدم اكثر .. بقينا ننتظر .. الافكار تراودني ... هل يمكن ان يكون اصحابي ما يزالون هناك؟ .. احياء؟ .. هل يمكن ان يكون ما لا يمكن ان يكون في هذه النار والحرارة الملتهبة؟ ... هل يمكن للكلمات ان تعبر عن المأساة؟ ... لقد بدأت البداية منذ حريق المثنى ومن ثم الصاروخ الامريكي على اول الشارع ... راح البعض ولكن في هذه المرة اتى التفجير والحريق المكتبات ومركزها في الشارع ... هذه هي حصيلة للأحداث التي نواجهها وتتعبنا كل يوم في بغداد الحبيبة ... لا يمكن للكلمات ان تعبر عن مشاعر الاسى والحزن ولكن نتركها للصور لكي تعبر عن نفسها او عن المأساة ولشارع المتنبى ، للمدينة بغداد ، ولهذا الوطن العراق ... نعم ..

نعم ... هذا الوطن العراق ... وطننا .. كتب عليه في هذا الاحتلال ان يفقد شخصيته، كيانه ، واثره الفكري والحضاري ... وطننا العراق ... بالبوأس ومأساة هذا الواقع الذي يمضي مع زمن ظلامي واحتلال دامى ... مع قتل للنخب الفكرية والعلمية والثقافية التي تشكل الكيان الذي كان لهذا الوطن ... العراق .. وهو استمرار للسرقة والنهب والقتل الذي حدث ... ولكن الآن بصورة ابشع واوحش ... فهل ستستفيق عقولنا وعدم ادراكنا للقوى المحركة لكل هذا القتل والنهب والتدمير لقوى البلاد المتمكنة اما أن الاوان لكي تجتمع العقول ويجتمع الناس على حب هذا الوطن والوقوف صفاً واحداً بوجه هذه الحملة الاستعمارية التي تريد ان تمحي وتسلب هذا الوطن وحرية؟ ...

لم يكن غريباً ان تستهدف هذه النخبة الاصيلية والمجاهدة من اجل الثقافة في البلاد لم يكن مستبعداً ان تغتال هذه النخبة من حملة الكتاب ولم يكن تستبعد ان توجه الرصاصة إلى صدورنا لأننا نعرف بأن كل من يكون ومن عاش في هذا الشارع المتنبى كان يمضي في ارساء الثقافة والمعرفة في هذا البلد ... ما أجمل اطفالهم حين كان يأتون يوم الجمعة يترآضون يحملون الكتب مع آبائهم ويفترشون الارض وتعلوا اصوات البعض منهم تنادي على من في الطريق ليأتي وينظر على الكتاب في يده ... لقد تعلم ابناء تلك النخبة حب الكتاب وكنا ننظر لهم بأمل ليحملوا المسؤولية ورعاية الكتاب إلى الاجيال القادمة فلقد تعلموا المعرفة من

آبائهم وتذوقوا الكتاب فلا غرابة انهم كانوا يضحون بيوم الجمعة بعطلتهم ليبتعدهوا عن طريق اللعب ويأتوا إلى المتنبى ليفترشوا الارض ويجلسوا مع الكتاب من اول الصباح وحتى الظهر في الصيف والشتاء

فاليهم هؤلاء الاطفال الذين كبروا الآن الف تحية وأملي بهم ان يبقوا حب الكتاب في قلوبهم ... ياسر ، جمال ، احمد ، مروان ، علي وآخرين .

وإلى كل هؤلاء الاعزاء الذين فقدناهم تحية تقدير واحلال ونعاهدهم على مواصلة التحدي ضد هذه القوة الجائرة التي تريد ان تطمس شعلة الثقافة والفكر في هذا البلد العزيز وسنبقى على الدرب نسير امناء على رسالة الثقافة في هذا الوطن ... وإلى الامام... وسأترك الصفحات التالية لبعض الاخوان الشهود من الشارع ليتحدثوا عن الجريمة والمأساة...



**شارع المتنبي يقف على قارعة الدنيا
يستغيث انجدوني لكنها الزحمة
التي لا يجد فيها الا خيار ملاذاً الا بالصمت**

لقد وجدتك اخيراً واحسب اني عرفتك
سنين عبر حياتك الخصبة التي تنضح
بحب الناس والوفاء للطيبين وعمار
السبيل امثالك . استاذنا الفاضل
قحطان الملاك

كريم حنش

عندما لا نجد بؤادر الحياة التي نضمها بخوالجنا يصبح اليأس جزءاً من الخضوع
لاقتراب النهاية وتلك حالة واقعية لاغتراب اي عراقي لا يجد السبيل لآمان فأما الهزيمة او
الثبات وتلك صورة تقترب للانتحار ولعل استعادة ذكريات المكان بتاريخها المختزل تقودنا
لنقطة البداية بأعادة الحياة نحو سرمديتها بتوافق الباقيين ممن هم امناء لتاريخهم
التواضع . لكن المرجو لا يستعيد الايام الخوالي رغم قصرها لكنها جميلة بكثافتها
واستذكار الماضي الذي غدى استذكار اخير . وتصبح اللقاءات عبارة عن استذكارات رغم
مرارتها وتصعد ما حولها واخيراً يبقى خوف المجهول احد علامات اليأس التي تلوح في
كوامن الحريصين للحياة المستمرة رغم الخسائر المتلاحقة .

فشارع المتنبي رديف دجلة رغم تبدل المعالم وتنوع الالهواء فالصورة الواقعية لنبض
الحياة فيه دائمة وتدعو للذهول احياناً . ونهر دجلة الخالد لا ينفرد بعلو مستويه واحياناً

فيضانه يصبح شحيحاً في مواسم الصيهد . وهذا شارع المتنبي مع تدفق الحياة قد اصبح في يوم ما ملاذاً حضارياً واجتماعياً واقتصادياً ابان الحرب العراقية الايرانية ومن ثم دخول العراق الكويت ... فقد تمكنت مجاميع ناشطة بالوصول إلى هذا الشارع بعد ان كان ارضاً يباباً حددت معالمه الاولى بمكتبات النخبة والطبقة الوسطى . واحسب ان تواجد المجاميع من اصحاب البسطات قد مثل حياة جديدة لبنى الشارع واخذ يلبس حلة تختلف عما كان في السابق .

فيوم الجمعة اصبح ملتقى اجمعي هام لكل العراقيين . وتحول المثقفون بتبديل محطة استراحتهم من مقهى حسن عجمي إلى مقهى الشابندر . فلكل زمان ومكان حضور للناس يحددون اتجاه الحياة ونجاحها الملازم الذي يمثل غرابة تدعو للتأمل والايضاح كما هي هذه الحالة العجيبة لتغير هوية الشارع . وربما تقف الصورة بحد فاصل بين قوة الصدمة ومحاولة الصمود والتنافس في فهم ما تصبوا اليه حركة الحياة قد ازاح بعضاً من باعة الكتب وصمد الباقون ولولا سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ لأصبح بعضاً من هؤلاء في عداد الباعة المغلوب على امرهم .

هذه طبيعة الحياة في شارع المتنبي لا تحتاج إلى غفلة وخنوع او خضوع . فالبقية الباقية هي التي حددت استمرار هذا الفيض بالرغم من الصدمات المتلاحقة التي تدعو الخيرين ان يقفوا صفا واحداً امام اي موجة بربرية نمت من جراء الفلتان الامني واستمرار الفوضى التي تجعل من شارع المتنبي رافعاً يديه مستغيثاً الا من ناصر يحافظ على وجه العراق اعينوني على ما تبقى من ماء وجهي لكي استعيد جزءاً من عافيتي . لكن الاستغاثة تمخضت وولدت كارثة الانفجار المروع الذي اخذ الخلاصة الصامدة من ابطال المتنبي ، عبد شندي الذي عمل مع صباح ميخائيل ومع محمد عبيد ومن ثم انهزم لبيع الشاي . استرد قواه ورجع إلى ملاذه في الشارع بعد ان قتل محمد عبيد وغادر صباح ميخائيل إلى استراليا لكن الرجوع لم يحافظ على بادرة الامل التي توجهها عبد شندي . فأستشهد في جعبته السعادة في وجود بيت مستقر لاطفال ثلاث ملئو وحشته الثكلى بالماسى كالمريض

والاقتصاد السيء ولاحياة التي لا تغرز بأمل الا مع اصدقائه وعائلته الصغيرة . وكان عدنان الصديق المشاكس الذي يملأ المكان بضحكته العالية ومزاحه معنا منذ الصباح ونحن نستمع إلى صوت فيروز وام كلثوم في الظهيرة التي قطعتنا عن عدنان فبعد نصف ساعة بعد تنازلي لافتراق ابي اعطاني عدنان كتابين احدهما لرحيم عجينة وشجعني بالعمل الف نسخة منه وافترقنا منذ تلك اللحظة الاليمة وبقيت ذكريات عدنان تملأ هواجسي غير المستقرة باتجاه عالم قد بات مجهولاً ويفقد الامان .

ولا زالت صور الطموحين من شهداء المتنبي تستذكرها ضمائرنا فالامكنة هي الامكنة ولحظات الوئام لا يمتلكها الا هؤلاء . فهذا عامر وحسين الساحر وواثق وحسين حميد وضرغام وماجد حميد وعبد شندي وعدنان ، مثلو معنا انا وخالد خلية واحدة ، فلا مجال للتنافس على لقمة العيش سوى الخوف من المجهول وتحدي المجهول لكن الحياة مليئة بالمفاجأة والاحلام السيئة التي يقطعها زلزال او مصيبة ، وفعلاً حدثت الكارثة وحلت المصيبة بغياب ابطال الوداعة والكلمة الصادقة والمواقف النبيلة ولا زالت فجوة هؤلاء تحدث شرخاً في المتنبي ، وفعلاً هنا بدأ الخوف ، ولن تلوح بوادر الأمل رغم استغاثة ممن تبقوا وفي عيونهم أثر يربو نحو جلسات الأمل مع الشهداء ورفاق المسيرة .

نفثات مصدوم ... آهات وذكريات

تفجير المتنبى اكبر جريمة في عصر الديمقراطية!...

بقلم الباحث

زين النقشبندی

للحديث عن سوق الكتبيين في بغداد لا بد لنا ان نذكر ان شارع المتنبى كان في بداية تأسيسه يشكل امتداد لسوق السراي منذ ان نقل المرحوم محمود حلمي مكتبته العصرية عام ١٩٤٦ او ١٩٤٧ اليه فبدأت بعد ذلك تفتح المكتبات فيه ثم اصبح في السنوات الاخيرة من تسعينات القرن الماضي بعد انقراض المكتبات وتحول اغلب مكتبات السراي لبيع القرطاسية ، بحق الوريث الشرعي لسوق السراي الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى نهايات العهد العثماني ، ففي رحلة البحث بين المصادر والوثائق والكتب والسندات والوقفيات والصحف والمجلات عندما كنت اعد بحوثي عن كتبي هذا السوق ، بدأ من تاريخ تأسيس اول مكتبة في هذا السوق تأكد لي ان سوق كتبي شارع المتنبى ببغداد حالياً الذي ربما جاز لنا ان نعتبره الوريث الشرعي لسوق الوراقين الذي انشئ في العصر العباسي بالجانب الغربي من بغداد هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فأنا كنا قد ثبتنا في كتابنا الذي تم طبعه في عام (٢٠٠١) والصادر عن مركز احياء التراث العلمي جامعة بغداد المعنون مباحث في تاريخ اوائل المكتبات والمطبوعات البغدادية .

ان تأسيس سوق الكتبيين في السراي اولاً وتوسعه وامتداده إلى شارع المتنبى كانت له اسباب كثيرة لعل اهمها وقوعه قرب مباني مهمة منها سراي الحكومة (مقر الحكومة العثمانية) اولاً والدفتر خانة ثانياً والسبب الثالث هو موقعه الفريد والمهم والذي تحيط به

من كل الجهات تقريباً الجوامع والتي كانت في نفس الوقت مدارس دينية اضافة إلى المدارس الحكومية ، مثل مدرسة اعدادية عسكري والصنائع ومدرسة الحقوق وبعض اوائل المدارس التي انشأت في بغداد في تلك الفترة وما بعدها مثل المدرسة المركزية وكذلك وجود الاقسام الداخلية قربها فيما بعد لغاية الثلاثينات او الاربعينات من القرن الماضي (العشرين) نعم كل هذه العوامل وغيرها كما نعتقد وما توصلنا اليه في دراستنا التي فصلنا في كتابنا المشار اليه آنفاً كانت وراء تحول سوق الجقجبية (آلة التدخين) إلى سوق للكتبيين سمي فيما بعد وعرف واشتهر بأسم سوق السراي نسبة إلى سراي الحكومة القريب منه ، ولكن الشيء الأهم من كل ذلك هو ان الانسان البغدادي والعراقي عامة كان تواقاً لطلب العلم رغم كل النكسات والنكبات ، نعم لولا وجود الارض الخصبة والاستعداد لما وجد مثل هذا السوق ولا توسع ولا استمر كل هذه السنوات ، ولا ازدهر والشيء المحزن في ذلك ان كل مؤرخي صناعة الكتاب في العالم العربي وخارجه وحتى في داخل العراق كانوا يغمطون حقوق وتاريخ النخبة الاولى من الناشرين العراقيين والكتبيين البغداديين خاصة ، ويكفييني هنا في هذا المقام ان اذكر ان محمد رشيد السعدي أنشأ مكتبته في منطقة الفلاحات بكرخ بغداد وكان يطبع كتبه في الهند وبومباي ليصدرها لكل ارجاء المعمورة ، اضافة إلى الذين جاؤوا بعده وعاصروه من الكتبيين ولعل اشهرهم نعمان الاعظمي مؤسس المكتبة العربية سنة ١٩٠٥ ومحمود حلمي مؤسس المكتبة العصرية عام ١٩١٤ فقد كانوا من الذين يطبعون كتبهم في مصر وايران اضافة إلى مطابع بغداد ويوزعونها لكل الارحاء داخل وخارج الوطن العربي، اضافة إلى مكتبة الشرق التي اسسها الملا خضر وابنه عبد الكريم ومكتبة عبد الحميد زاهد التي نقلها من كربلاء بعد قيام ثورة العشرين حيث كان احد المشتركين فيها ومكتبة السيد عبد الامير الحيدري وباقي المكتبات التي تولت عملية توزيع ونشر الكتب العراقية وبيعها بعد ان كانت في نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر تباع بالكنايس والمطابع والمرافد المقدسة مثل الكاظمية والشيخ عبد القادر الكيلاني ودور العبادة الاخرى اليهودية والمسيحية والاسلامية ولعل الخبر المنشور في جريدة الزوراء بتاريخ ٢٦ / ربيع

الثاني / ١٢٨٩ هـ / ٢٠ / حزيران / ١٨٧٢ م عن قيام الملا عبد الرحمن افندي خطيب جامع الوزير ببيع كتاب بالمزاد العلني في الجامع المذكور من اقدم الاعلانات التي عثرنا عليها والتي اרכת لبدايات بيع الكتب ببغداد .

ولما ضاق سوق السراي بمكتبات الكتبيين البغداديين ولم يعد يسعهم ويلبي متطلبات عملهم توسعوا وبدأوا ينتقلون إلى شارع المتنبي ولعل المرحوم محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية اول من فتح مكتبة في شارع المتنبي كما ذكرنا آنفاً ثم توالى بعده المكتبات في هذا الشارع التراثي البغدادي العريق الذي فصلنا وتحديثنا عنه كثيراً في كتابنا المشار اليه آنفاً اضافة إلى كتابنا الثاني الذي عنوانه (تاريخ مقاهي بغداد القديمة مع دراسة خاصة عن مقهى الشابندر) المطبوع في نفس السنة وهو ايضا من منشورات مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد .

وفي سنوات الحصار الجائر المريعة التي عاشها الشعب العراقي الباسل أخذ هذا الشارع طعماً آخر ولوناً جديداً موحهاً رسالة ربما لم ينتبه لها الكثير من المثقفين والادباء ، نعم فبدلاً من ان يتم القضاء على هذا السوق (سوق الكتبيين) في ظل هكذا وضع ، نرى سوق الكتاب تطور وازدهر وتوسع واصبح يقام كل يوم جمعة كرنفلاً فل وجوده في ارجاء العمورة وربما جاز لي ان اقول ان هذا السوق الفريد الوحيد الذي كان يقام في كل يوم جمعة من كل اسبوع من تلك السنوات العجاف ولا اعتقد ان اي زائر زار بغداد في تلك السنوات العجاف في تسعينات القرن الماضي لم يزر هذا السوق ويجلس ويشاهد مقهى الشابندر اقدم مقهى بغدادى ما زال لحد الآن موجود يرتاده الجميع ابتداء من المسؤولين الكبار رؤساء الدول والوزراء والادباء والشعراء والمستشرقين والفنانين .

واليوم لا ادري ماذا اقول عن الفاجعة التي حلت بسوق الكتبيين والقرطاسية والمطابع ونادي المثقفين ومكان التقائهم مقهى الشابندر هذا المكان العريق الذي كان منذ مئة سنة او اكثر وهو لم يتعب من القيام بدوره الثقافي ورسالته الحضارية ، نعم منذ ان كان يشغل مكان هذا المقهى العريق مطبعة بنفس الاسم قامت بنشر الكثير من العناوين التاريخية

والأدبية قبل ان يتحول إلى مقهى في العشرينات وما قبلها هذه الرئة التي تنفس من خلالها كل مثقفي العراق بكل اطيافهم وقومياتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم السياسية والفكرية والفنية نسيم الحرية وحلموا بيوم جديد موعود لتحقيق كل الامنيات واستبشروا خيراً وتمنوا .

واذكر انني قبل سنة او اكثر التقيت صحفي من جريدة نيويورك تايمز وقال لي ماذا يمثل لك هذا المقهى ؟ هذا السوق ؟ (المقصود سوق الكتب) فقلت له انه رثتي التي اتنفس بها وانني لا استطيع ان اتصور ان يمر يوم او بعض الايام ولا احضر إلى هنا لأملئ رثتي بهذا الهواء واشبع عيني من رؤية هذا المقهى وصوره التاريخية النادرة التي تعود إلى الايام القديمة لبغداد .

وأذكر انه كان هناك غبار في الهواء ودخان لبعض السيارات فقال لي الصحفي الهندي لكن الهواء ملوث فقلت له رغم ذلك فأنا أعشقه ولا حياة لي من دونه، نعم لقد قتلونا ونحن احياء وأرادوا ويريدون قتل كل الكلمات وكل دليل واثر للحضارة وقتل كل امل في يوم مشرق هؤلاء الذين خططوا ونفذوا لعملية التفجير الارهابي الجبان في وسط هذا الصرح الثقافي والحضاري العراقي الخالد ورغم انهم دمروا الكثير من المكتبات واحرقوا الآلاف وربما الملايين من الكتب والدفاتر والقرطاسية وقتلوا وجرحوا اطفال وشيوخ وشباب من النساء والرجال تجاوز عددهم المئة او اكثر من ذلك وحرقوا عشرين او اكثر من السيارات ودمروا حوالي السبعين محل وخمسة عشر مطبعة وسبع عمارات .

ولكن العراق خالد وشعبه باقي منذ الازل وسيبقى سوق الكتبيين في شارع المتنبى رغم هذه الكارثة الكبيرة نعم فلم يعد من مكتبات هذا الشارع حالياً الامكتبات تعد على الاصابع فبعد احترق مكتبة المثنى لمؤسسها قاسم الرجب وقيام اصحابها (آل رجب) بتأجيرها إلى شركة الفاتنة واغلاقهم للمكتبة منذ سنوات ووفاة السيد شمس الدين الحيدري الذي كان الشاهد الاخير على تأسيس سوق السراي وتحول الكثير من اهل الكتب إلى بيع القرطاسية، اتى هذا الحادث الاجرامي ليكمل على البقية الباقية لكثير من المكتبات مثل المكتبة العصرية التي هي اقدم مكتبة ما زالت موجودة لحد الآن ومكتبة ياسر لصاحبها الشهيد عدنان ابو

ياسر ومكتبة النهضة لآل حياوي اللذين قدموا شهيدين هما محمد حياوي وابن اخيه يحيى نجل القاضي نبيل حياوي صاحب المكتبة القانونية ومكتبة الرباط التي استشهد شقيق صاحبها ايداد اسماعيل البياتي ومكتبة القيروان ومكتبة كريم حنش ومكتبة النبأ التي استشهد مؤسسها حسين حميد قاسم وضرغام عودة عباس وكل هذه المكتبات التي ذكرناها دمرت تدميراً تاماً بفعل الانفجار والحريق وباقي المحلات ومكتبات القرطاسية والمطابع خاصة التي تقع في واجهة بناية المكتبة البغدادية وما يقابلها ، ومعلوم ان بناية المكتبة البغدادية تم انشائها من قبل امانة بغداد على انقاض القرن العسكري للصمون (الاكمخانة) ، اضافة إلى احتراق وتدمير كتب باعة الجنابر الذين يفتشون الارصفة امام المكتبات والذين كانوا في الايام التي يبيعون كتاب او كتابين من كتبهم ببضع الاف يذهبون فرحين إلى اهلهم والذين لا يملكون من حطام الدنيا قوتهم اليومي وهذه الكتب التي ربما كانوا يعرضونها على التصريف (البيع الاجل) ، نذكر منهم الشهيد علي مجيد حيدر شقيق الكتبي حميد البياتي الذي تدمرت بسطيته واحترقت كتبه ايضاً اضافة إلى اصابة ابن خالته طارق بجروح كبيرة والشهيد السيد الحاج كريم جودة مراح ابو احمد والشهيد عبود عيدان مراح ابو محمد بائع الكتب الطبية والفلكية الزراعية والشهيد عبد شندي المتخصص بالكتب التاريخية والتراثية ، الذي كثيراً ما كان في الايام التي لا يبيع فيها كتاب او كتابين يستدين من معارفه وجيرانه ليشتري بها ما يسد رمق عائلته المكونة من ثلاث اولاد مرضى وزوجة صابرة راضية بقدرها وما قسم الله لها كما كان يقول لي والشهيد ماجد حيدر باشط الذي كان يجاور عبد شندي والمتخصص ببيع الكتب والمجلات اضافه إلى الشهيد احمد مجيد رشيد الذي كان يعمل في مكتبة الشهيد عدنان ابو ياسر ، والشهيد محمد عبد الجليل الذي لم يتم العثور لحد كتابة هذه المقالة على جثته والشهيد واثق الحيايالي الذي كان متخصص ببيع كتب مركز دراسات الوحدة العربية اضافة إلى الكتبي حسين سالم والشهيد حسين عبود احد باعة الكتب عند مدخل البناية البغدادية والشهيد حسين عبد الصمد بائع الملازم المدرسية والكتبي قحطان حسن لازم الربيعاوي احد باعة

الكتب والصحف خارج سوق السراي (المتسوقين) صاحب مكتبة التحرير في ساحة الطيران
 اضافة إلى اكثر من عشرين شهيد من اصحاب مكاتب القرطاسية واللوازم المكتبية واجهزة
 الحاسوب منهم الشهيد سعد سينا (سعد علي حسين صاحب قرطاسية زهرة الخليج) مع
 عماله ومجاوره الشهيد منذر العياشي .

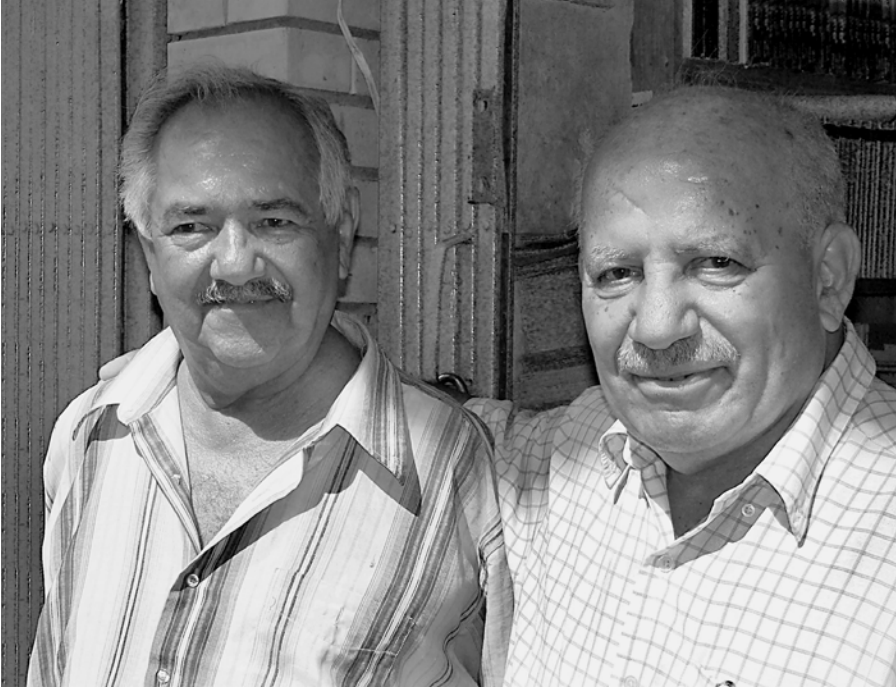
وشهداء مقهى الشابندر اللذين كانوا يجلسون في المقهى ساعة الانفجار واللذين لا
 نعرف لحد الآن من كان يجلس في المقهى من رجال الفكر والثقافة اضافة إلى شهداء ابناء
 صاحب المقهى الحاج محمد الخشالي وهم كل من غانم وابنه فتية وكاظم وبلال ومحمد
 ابو حسن .

اضافة إلى تدمير عدد من المطابع واستشهاد بعض عمالها ومراجعيها منها مطبعة
 ابن العربي ولا يفوتنا ان نذكر ايضاً استشهاد عدد من المارة والمتقاعدين من كبار السن
 من الرجال والنساء الذين كانوا يستلمون رواتبهم التقاعدية من مصرف المتنبي الواقع
 في البناية التراثية التي دمرت واجهتها تدميراً كاملاً والمتبضعين الذين كانوا متواجدين
 ساعة الانفجار في مكان الحادث ، كذلك احتراق وتدمير بعض المركبات ساعة وقوع الحادث
 والبالغ عددها حوالي (٢٥) سيارة او اكثر تم احتراقها مع قسم من ركابها الذين كانوا
 داخلها ولم يستطيعوا النجاة .

هذا ما استطعنا جرده من اسماء الشهداء الذين سقطوا في فاجعة المتنبي ٢٠٠٧/٣/٥ علماً
 ان هناك عدد آخر من الشهداء اللذين لم نستطع الحصول على معلومات عنهم مجهولي
 الهوية من المارة والمراجعين للمصرف في شارع المتنبي من المتقاعدين وغيرهم تغمدهم الله
 جميعاً برحمته .

وبالنتيجة فأن ما نحس ونشعر به من ألم ومن هول المصيبة والكارثة وما يجيش في
 الصدر وما يدور في الفكر شيء لا يمكن ان تعبر عنه اي كلمات وارانتي عاجزاً لأول مرة في
 حياتي في بيان وقول والتعبير عما اريد وما ارغب ايصاله للآخرين .

المتنبي .. الشطري ... وأنا ... !!؟



ما علاقة الرجل بالحياة ...؟

ما علاقته بالطبيعة ، المكان ، ... و الناس ؟؟

نعم ! المكان ..!

نعم ! المكان .. هذا المكان الذي نتحدث عنه في وريقاتنا هذه ...

ليست من عجب في مثل هذه العلاقة الحميمة التي يرتبط بها الإنسان بالمكان .. ولكن ،

هل هو أي مكان ؟

علاقة الرجل البدوي بالصحراء ..!

علاقة الكاسب بدكانه ..

علاقة (المطير جي) بطيوره ..

علاقة الباحث بقلمه و كتابه .. !!

علاقة بائع الكتب ، بكتبه .. هذه العلاقة النبيلة ، كيف ترهم و تصبح جزءاً من أساسياً من حياته و فكره ..

إنها صلة أصيلة وهي التي توطن علاقة الرجل بشارع ، شارع المتنبي ، إنه صلة وتواصل يتأصلان مع مرور السنين ، وبالأخص عندما تكون صلة فكرية و روحية ، وهكذا أصبحت صلتني بهذا الشارع و بالناس ، الباعة ، و أصحاب المكتبات في شارع المتنبي ، و أصبح المكان الرصيف أمام مكتبة الشطري . . . الشطري (أبو ربيع) هو وجود خاص يعطي للشارع نكهته ، و إذا تأخر في الصباح عشر دقائق بعد الثامنة يبدأ البحث عنه ، و سكنه ليس ببعيد عن مكتبته ، فلقد أصبح يسكن بجوار الشارع ، و كانها ليست الصدفة التي جاءت به بعد هذه السنين الأخيرة ليقضي ٢٤ ساعة من يومه في شارع المتنبي . . . فهل هناك أكثر تعلقاً بهذا الشارع مثل تعلق الشطري به ؟

الشطري ، و حسب لقبه من مدينة الشطرة ، و حيث ولد فيها و ترعرع و تشبع بروح الأدب و الشعر منذ نعومة أظفاره . . عمل و كافح منذ أول أيامه الأولى في الحياة ، فكانت له مكتبة (النور) في الشطرة ، و من هذه المكتبة البسيطة بدأت رحلته مع الكتاب ، و بدأ يتردد على بغداد للتزود بزاد الكتب من مكتباتها ، و بدأ يتعرف على أصحاب المكتبات في سوق السراي . . بدأت تستهويه المدينة بغداد ، و هو الشاب القادم من الريف و من ضفاف الفرات ، و مع زيادة زيارته إلى بغداد ، قرر الانتقال إليها ، و العمل و العيش فيها ، لم يكن في سلك الوظيفة ، ولم يعرف عن الوظيفة الحكومية شيء ، فكان عليه أن يبدأ العمل في هذه المدينة الصاخبة المبهجة السعيدة بلياليها و نهاراتها الأدبية ، ولم يكن يملك ما يمكنه من فتح دكان أو مكتبة ، فقد كانت تكلف الكثير بالنسبة له ، فخطر بباله أن يشتري عربة ليضع فيها بضاعته من الكتب ، يدفعها في سوق السراي و شارع المتنبي ، فكان أن بدأت تنعقد له علاقات مع أصحاب المكتبات و باعة الكتب ، و برأس ماله البسيط بدأ يشتري

الكتب من هنا وهناك ، بخمسين أو مائة فلس ثم يبيعه بمائتين و خمسين أو خمسمائة فلس ، وهكذا تواصل عمله لبضعة سنين بهذه الطريقة ، و مع ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بدأ عمله ينضج ، و في عام ١٩٦٢ أعتقل ، و عندما أطلق سراحه في العام ٦٣ بدأ يفكر بعمل أو مكتبة يستقر فيها ، و بدأت مكتبة الشطري منذ ذلك الحين تأخذ مكانها في الشارع ، و بدأ الشطري يأخذ مكانه الأهم في شارع المتنبي . . . و منذ ذلك الحين أصبح الشطري العلامة المميزة في الشارع ، و قد أعاد مزاد الكتب إلى سابق عهده ، بل زاد على ذلك بأن جعل منه مزاداً جديداً بروحه الخفيفة و الشعاعية ، فلا غرابة أن يصبح لمزاد الشطري أهمية خاصة في الشارع ، بدأنا نجتمع حوله أو نجلس بالقرب منه نشارك في هذه المزادات و شراء الكتب منها ، و بدأت علاقتي معه تتوطد يوماً بعد آخر ، و أصبح لي كرسي خاص في بابيه، نجلس مع البعض من الأصدقاء نتسامر و نتحدث عن الكتب و عن يوميات الحياة . . . و اهتزت الكراسي في حريق مكتبة المتنبي في ٢٠/٨/١٩٩٩ ، و من بعد القصف الوحشي على بغداد . . . ذلك القصف الذي كان يمثل قمة الهمجية الأميركية التي بدأت توجه نيرانها و شرورها إلى بغداد ، و كأن بغداد في نظرهم الشعلة التي يجب أن تنطفئ ، أو أن بغداد هي الشرارة المضيئة التي تحرق عيونهم . . . !!

نعم هكذا عشنا ، المتنبي و الشطري . . . و أنا . . . حتى في تلك الليالي الظلماء والقصف الوحشي ، كنت أزور الشارع و كان قلبي يحترق ، فبعد أن ضرب جسر الشهداء ، و سقط شهداء و تهدمت بنايات لتبدأ معها العلاقة مع الخراب الأميركي لهذا البلد ، هل سيضرب المتنبي؟! و كان الصاروخ أو الصاروخين ، الأول الذي سقط على الشارع عام ٢٠٠٤ . . . صاروخين أميركيين ، و ليست عبوات مفخخة كما أصبحوا يوهمون الناس بأن هناك من يصنعها و يضعها في دروب بغداد ، و في الحقيقة ، هم صانعوها ، و هم زارعوها .

الحديث مع الرجال الذين أوجدوا الشارع وجوداً خاصاً ، و انعكاساً يمثل فرصة نادرة في الحياة . . . و كيف لا تكون ، و انت تكشف ذلك الرجل ، فكره . . . و جوده ، وعلاقته ، وتكشف معه أسرار و معرفة ليس للشارع فقط ، و لكن للرجل و الحياة ، و علاقته بالمتنبي . .

المتنبي ، الشارع . . و المتنبي الشاعر و عصره . . و تجدهم يتبارون في النقاش و الحديث البديع الأدبي حول النقطة تلك أو حول الكتاب أو تلك الموسوعة الأدبية أو التاريخية ... الرجال في المتنبي و هبوا حياتهم للكتاب .. هبة : هي خلاصة حياة و تاريخ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، كل كتاب يسوقونه ، وكل كتاب يطبعونه يمثل خطوة متقدمة في الحياة ، و مجرد وجوده في مكانه في الشارع هو علامة على الثبات و الاستقرار ، و علامة على الوجود الحي للفكر العريق لهذا البلد في الحياة . . فكر يتمثل من خلال هذه القلة من الرجال الذين وهبوا حياتهم للكتب و للعراق و المحافظة على تراثه التاريخي الفكري والحضاري والذي يجب أن يبقى حياً ما دامت هناك حياة تنبض في كل شارع أو زقاق في هذا البلد ، في البصرة ، الحلة ، الناصرية ، الكوفة ، النجف ، الفلوجة ، الموصل ، و كل بقعة من بقاع أرض الرافدين .

و هكذا سيبقى الشطري و صحبه جزءاً أساسياً من هذا التواصل ، وهذه الحياة . . . و بالمناسبة يجب أن لا ننسى الشيخ جلال الحنفي - رحمه الله - من أنه عندما كان يمر عابراً من شارع المتنبي يتوقف عند الشطري ، و يقول له :
يا أبا ربيع ، لا تقل الشطري ، بل الشطراوي . . .
و يستجيب معه أبو ربيع ، فيقول :
مولانا، الشطراوي لها معنى آخر عند أهل الشطرة . . . !
فيبتسم الشيخ الحنفي ، و يمضي في طريقه . . .
و هذه لا يعرف معناها إلا أهل الشطرة . . . !!
فمن يعرف حل هذا اللغز بين الحنفي و الشطري . . . !!!

سيفهم قول الشطري :



كل من يكلك زين ، كول إنت جذاب ! ... الشطري صار أسبوع ما بايع كتاب ! !

خاتمة

و بعد ، فهذه ليست خاتمة المطاف لشارع المتنبي و الناس و الباعة الذين يتواجدون فيه ، و ليست نهاية المطاف لمدينتنا العزيزة بغداد ، و العراق وطننا الحبيب ، بل بداية جديدة لحياة جديدة لهذا الاحتلال البغيض ، و الجرائم التي ارتكبت بحق هذا الشعب الأبي.. فالحياة بدأت تعود إلى الشارع ، و بدأ الناس يعودون إليه ، و بدأت الوجوه تبتسم مرة أخرى لأن الحياة يجب أن تستمر . . لأن الروح الحية في هذا الشارع و في أعماق أبناء هذا الشعب تبقى الشعلة المضيئة للطريق . . طريق المستقبل ، فأمهات أبناء العراق ولادات لعقول مجددة ناهضة تحمل قوتها ، و عبقريتها في نفسها ، ولأن روح الفكر في العراق و العقل العراقي ليس و ليد اليوم ، فهو موجود في دواخلنا و أعماقنا ، و هي القوة التي تبقينا أحياء رغم عاتيات الدهر و حملات المستعمرين و الطامعين بثروات هذا البلد... و سيبقى العراق حياً و شعبه علامة مضيئة في طريق الإنسانية ، و سنبقى نمضي في طريق المستقبل بقوة و ثبات و إلى أمام . . .

الفهرست

٣	استهلال
٧	أنا في حبك عالقاً . . يا متنبى
١٥	المتنبى . . حكاية ناس . . وحكاية زمن . .
٢٥	الجمعة صباحاً
٤٦	رثاء في حضرة المتنبى
٤٨	راح اصالح
٤٩	يا شارع المتنبى
٥٢	المرحوم قاسم الرجب: صاحب مكتبة المثنى
٥٣	مذكرات في سوق السراي
٧٤	معلومات تاريخية
٧٦	قالوا في شارع المتنبى
٧٦	الشيخ جلال الحنفي
٨٠	سر شارع المتنبى
٨٥	عيسى علي طالب
٨٦	المهندس عبد المجيد علي المطيري
٨٧	الأستاذ طاهر البياتي
٨٨	شارع المتنبى شارع الثقافة
٨٩	أ. د. علاء الحربي
٩٠	توفيق التميمي
٩٢	شارع المتنبى
٩٣	خالد جاسم محمد العزاوي
٩٤	د. صباح محمود
٩٥	ذكريات خاطفة عن بغداد
١٠٨	ملاحظات عابرة من شهر تموز ١٩٩٨

١٠٩	ناس من بلدنا
١١٠	الحريق . . . الجمعة ٢٠ / ٨ / ١٩٩٩
١١١	ليل بغداد
١١٥	الإثنين الأسود ٥ / ٣ / ٢٠٠٧
١١٨	شارع المتنبي يقف على قارعة الدنيا
١٢١	نفثات مصدوم . . . آهات وذكريات
١٢٧	المتنبي . . الشطري . . وأنا . . . !!؟
١٣٢	خاتمة
١٣٣	الفهرست



من اليمين : د. حميد السعدون ، المرحوم خليل ابراهيم ، المرحوم عيسى الصعب ، والشطري



مكتبة الشطري أيام زمان



سياح أجنب يوقفون أمام مقهى الشابندر في عام ٢٠٠٢



رواد مقهى الشابندر عام ٢٠٠٢



مقهى الشابندر أو ما بقي منه بعد حادث التفجير الجبان في آذار ٢٠٠٧





آثار التفجير الإرهابي في شارع المتنبى



في مجلس عزاء شهداء المتنبى ٢٠٠٧ / ٣ / ١٢



ساحة حافظ القاضي أو ساحة الملك فيصل الثاني كما كانت تعرف في ١٩٥٢



شارع ابو نواس هكذا كان أيام زمان



جسر الشهداء



فندق بغداد